8me Année No. 351

Lundi - 25 - 3 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٥١ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٦ صفر سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٥ مارس سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــرس

التبشير عدو للسلام

وهو فى مصر عمل لا يليق

كان التبشير والتجارة رائدَى الاستعمار السياسى منذ اعتزم الغرب الطموح الإغارة على الشرق الغافل . وكان التبشير أشد الرائدين تدخلاً فى شؤون الناس، وتغلغلاً فى أصول المجتمع، لما تهيأ له من شتى الوسائل فى التعليم والتطبيب والتمريض والاستشراق والخدمة العامة ، فاستطاع أن يُرهج بين الأمة المتحدة الغبار الخانق، ويزرع بين الملة الواحدة الزرع الخبيث ، ويخلق فى كل شعب من شعوب الشرق بالعصبية الدينية والتربية المذهبية قِلةً حاقدة تعارض الكثرة فى الرأى، وتخالفها فى الهوى، وتغرى بها الشر، وتمالئ عليها العدو، وتحاول أن تتحيز فى السكن والعمل، وتتميز بالشعار والجنس ، فلا تكون من قومها فى دنيا ولا آخرة

ليس التبشير بهذا المعنى ولهذا الغرض من ألسنة الدين ولا من سبل الحق ؛ فإن الدين مهما تعددت أسماؤه وغيّر فيه أبناؤه لا يزال فى حقيقته الحبل الذى يصل به الله من انقطع ويجمع عليه من تفرق . وإن الحق مهما تفرقت سبله وتنوعت وسائله لا تزال له غاية واحدة يهتدى إليها من ضل ، ويتوافى عليها من تأخر . وإذن لا يكون هذا التبشير القاطع

المفرق إلا وسيلة من وسائل السياسة الماكرة، أو حيلة من حيل العيش الرخيص

وأعجب العجب أن الدول الديمقراطية الثلاث هى التى تحضن هذا النظام الطفيلى وتموله وتقوده وتحميه. وكان أقرب الظن بها أن تنكره بعد ما أمكن الشرق من يده وخلى بينها وبين ميراثه؛ فإن السلام والوئام والحب هى التى تقرب إليها من تسوس، وتحفظ عليها ما تملك. وهؤلاء المبشرون الذين اضطرهم اليأس أو البؤس أو العجز إلى الاتجار بالدين والعيش على ضلالات العقول وحزازات النفوس وسفاهات الألسن، لا يستطيعون أن يبذروا غير الخلاف، ولا أن يحصدوا غير الضغينة

* * *

إن ميدان الدعوة إلى الله لا يكون بالطبيعة إلا فى بلاد الوثنية والجهالة. هنالك يجد المجاهدون فى سبيل الحق والخير ملايين من عُمى القلوب يخبطون الظلام ويطأون الشوك ويعانون الحيرة ويكابدون اللغوب؛ فيخرجونهم إلى نور الله ويلحقونهم بركب الإنسانية. ولكننا لا نرى جمهرة المبشرين ولا معركة التبشير إلا فى مصر، كأنما انحصر جهد هؤلاء المتعطلين فى فتون المسلم عن دينه، وإخراج المسيحى عن مذهبه! فهل حسب أولئك الناس أن الإسلام بالنسبة إلى المسيحية كفر، وأن الأرثذكسية بالقياس إلى البروتستانتية فسوق؟ لا يمكن أن يقع هذا فى حسبان عاقل؛ والقوم قد جاوزوا العقل والفطنة إلى الدهاء والخبث؛ فهم أكيس من أن يجهلوا حقيقة الإسلام وينكروا أثره الإلهى المحمدى فى تكريم الإنسان وتنظيم العيش وإصلاح الأرض؛ ولكن الأشبه بالحق أنهم اطمأنوا إلى العيش الغرير فى ظلال النيل، فأمنوا وسمنوا وخاروا، وعز عليهم أن يبعدوا عن مَصابّ الدولار والجنيه والفرنك فى بنوك القاهرة، فأدخلوا فى روع الشيوخ والعجائز من المؤمنين المثرين فى أوربا وأمريكا أن البلد الذى يقوم فيه الأزهر هو المكان الذى لا يزال يصاب فيه المسيح. واستعانوا على خديعتهم بما افتراه قساوسة القرون الوسطى على الإسلام من الزور الغبى والكذب الأحمق. وأوهموهم أنهم إذا أمدوهم بالمال ورفدوهم بالنفوذ جندوا الجنود، وأحكموا الخطط، وهجموا على الإسلام فصرعوه فى عقر داره

من أجل ذلك كان المبشرون حراصاً على أن يجمعوا الأزهريين للمناظرات أو المحاضرات بشتى الحيل؛ فإذا ما اجتمعوا أخذوا صورهم فى أروقة الكنائس أو فى أفنية المدارس، ثم بعثوا بها إلى مرسليهم ومموليهم مدسوسة بين صحيفتين بارعتين إحداهما تبشر بتنصير (العلماء)، والأخرى تلح فى مضاعفة الجزاء!

وفى سبيل أن ينعم المبشرون بالطعام الدسم، والشراب السائغ، والفراش الوثير، والفراغ الوادع، تتمزق العلائق بين الإخوة فى النسب والوطن والعقيدة، وتكون الجفوة بين المسلم والقبطى فى مصر، وبين المسلم والمارونى فى لبنان!

* * *

إن التبشير عدو للسلام، لأنه تأريث للعداوة وتشتيت للوحدة فى غير طائل. وهو فى مصر عمل لا يليق، لأنه إهانة وقحة لدينها وعقلها، وإن لها فى تاريخ الحضارة والثقافة والمجد صفحات لا يزال إشراقها السماوى يضىء جوانب الحاضر ويبدد غياهب المستقبل

لقد آن للديمقراطيات التى تقاتل عصبية الجنس فى ألمانيا، وتناضل عصبية المذهب فى روسيا، أن تخلص سياستها من عصبية الدين؛ فإن ذلك أخلق بالسلام الأدبى الدائم الذى تحارب الطغاة على سلطانه، وتريد أن تقيم العالم الجديد بعد الحرب على أركانه

إن للتبشير فى مصر فواجع لا تزال الضلوع محنيّة منها على نار. ولعل أرمضها للقلب وأبعثها للدمع مأساة ابنة الوزير الذى حال المبشرات بينه وبينها بالقوة لأنها نذرت نفسها للمسيح، ثم أخفوها عن العيون حيناً من الدهر، ثم نقلوها على رغم الأسرة والحكومة إلى فرنسا فانقطعت الأسباب بين أهلها ودينها ووطنها إلى الأبد!

* * *

ذلك ما خطر لى أن أكتبه ساعة قرأت ما كتبته مجلة التبشير الدولية عن حركة التنصير فى مصر. وإن فى ذلك المقال الخبيث من اقتراح تأليف مجلس مسيحى وطنى لتنظيم التبشير وتعميمه فى المدن، وإنشاء المدارس الإلزامية لفتنة الصبية والأيفاع فى القرى، لَبلاغاً للقائمين على سلامة التربية وحماية العقيدة من لصوص الضمائر وشياطين القلوب!

احمد حسن الزيات

عبقرية محمد الادارية

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى الإسلام أحكام كثيرة مما يدخل فى تصرف رجال الإدارة كما نسميهم اليوم

وفيه وصايا كثيرة عن المعاملات ، كالمساقاة والمبايعة والاستقراض والشفعة والتجارة وسائر شؤون المعيشة الاجتماعية يقتدى بها المشترعون فى جميع العصور

ولكنا لا نريد بما نكتب عن النبى أن نسرد أحكام الفقه ونبسط وصايا الدين ، فهى مشروحة فى مواطنها لمن شاء الرجوع إليها

وإنما نريد أن نعرض لأعماله ووصاياه من حيث هى ملكات شخصية وسلائق نفسية تلازمه حيث كان مؤدياً لرسالة الدين ، أو مؤدياً لغير الرسالة من سائر أعمال الإنسان

كذلك لا يعنينا مثلاً أن نتكلم عن « الإدارة » كأنها نصوص المنشورات و « اللوائح » التى تدار بها الدواوين وتجرى عليها تفصيلات الحركة فى مكاتب الحكومة ، فإن هذه وما إليها هى أعمال منفذين مأمورين وليست أعمال مديرين آمرين

وإنما نعنى الملكة الإدارية من حيث هى أساس فى التفكير من اعتمد عليه استطاع أن يقيم بناء الإدارة كلها على أسس قوية ، ثم يدع لغيره تفصيلات الأضابير والأوراق

فليس فى وسع رجل مطبوع على الفوضى مستخف بالتبعة أن يؤسس إدارة نافعة ولو كان فيما عدا ذلك كبير العقل كبير الهمة

أما السليقة المطبوعة على إنشاء الإدارة النافعة فهى السليقة التى تعرف النظام وتعرف التبعة وتعرف الاختصاص بالعمل ، فلا تسنده إلى كثيرين متفرقين يتولاه كل منهم على هواه

وقد كانت هذه السليقة فى محمد عليه السلام على أتم ما تكون كان يوصى بالرياسة حيثما وجد العمل الاجتماعى أو العمل المجتمع الذى يحتاج إلى تدبير . ومن حديثه المأثور : « إذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم » . ومن أعماله المأثورة أنه كان يرسل الجيش وعليه أمير وخليفة للأمير وخليفة للخليفة إذا أصيب من تقدمه بما يقعده عن القيادة

وكان إلى عنايته بإسناد الأمر إلى المدبر القادر عليه حريصاً على تقرير التبعات فى جميع الشئون ما كبر منها وما صغر على النهج الذى أوضحه صلوات الله عليه حيث قال : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . فالأمير الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وهى مسئولة عنه ، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه . ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »

وقد كانت أوامر الإسلام ونواهيه معروفة لطائفة كبيرة من المسلمين أنصاراً كانوا أو مهاجرين ، ولكنه عليه السلام لم يترك أحداً يدعى لنفسه حقاً فى إقامة الحدود وإكراه الناس على طاعة الأوامر واجتناب النواهى غير من لهم ولاية الأمر وسياسة الناس

فلما قتل بعض المسلمين غداة فتح مكة رجلاً من المشركين غضب عليه السلام وقال فيما قال من حديثه المبين : « ... فمن قال لكم إن رسول الله قد قاتل فيها فقولوا إن الله قد أحلها لرسوله ولم يحلها لكم يا معشر خزاعة ... »

ولما أراد أن يبادر الخمر نهج فى ذلك منهجاً يقصد به إلى التعليم والاستنان كما جاء فى رواية ابن عمر حيث قال :

«أمرنى النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن آتيه بمدية ، فأتيته بها . فأرسل بها فأرهفت ثم أعطانيها فقال اغد على بها . ففعلت ، فخرج بأصحابه إلى أسواق المدينة وفيها زقاق الخمر قد جلبت من الشام . فأخذ المدية منى فشق ما كان من تلك الزقاق بحضرته ثم أعطانيها ، وأمر الذين كانوا معه أن يمضوا معى ويعاونونى ، وأمرنى أن آتى الأسواق كلها فلا أجد فيها زق خمر إلا شققته ففعلت ، فلم أترك فى أسواقها زقاً إلا شققته »

وهذا تصرف المدبر بعد تصرف النبى الذى يبين الحرام ويبين الحلال

فالخمر شربها وبيعها ونقلها حرام يعلمه جميع المسلمين من تفقه منهم ومن لم يتفقه فى الدين ، ولكن المحرمات الاجتماعية ينبغى أن تكون فى يد ولى المسلمين لا فى يد كل فرد يعرف الحلال والحرام . وليست المسألة هنا مسألة تحريم وتحليل ولكنها مسألة إدارة وتنفيذ فى مجتمع حافل يشتمل على شتى المصالح والأهواء

ولا يصاب ببلاء هو أضر عليه من بلاء الفوضى والاضطراب واختلاف الدعاوى وانتزاع الطاعة وتجاهل السلطان؛ فلم يكتف النبي بصريح التحريم في القرآن، ولا اكتفى بإسناد الأمر إلى غير معروف الصفة في تنفيذ الأحكام، بل خرج بنفسه ثم أمر رجلاً بعينه وأناساً بأعينهم أن يمضوا في إتمام عمله، ولم يجعل ذلك إذناً لمن شاء أن يفعل ما شاء

وما أكثر ما سمعنا في أيامنا الأخيرة عن الأمن والنظام، وتوطيد أركان الشريعة والقانون، ولكننا لا نعرف في كل ما قيل كلاماً هو أجمع لوجوه الصواب في هذه المسألة من قول النبي: «السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» ومن قوله فيما رواه عبادة بن الصامت «... ألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان» ومن قوله: «الإمام الجائر خير من الفتنة، وكلٌّ لا خير فيه. وفي بعض الشر خيار» ومن قوله: «إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم» إلى أحاديث في هذا المعنى هي جماع الضوابط التي تقوم عليها الإدارة الحكيمة، والخطط السليمة المستقيمة، بين آمر ومأمور: نظام وفوق النظام سلطان، وفوق السلطان برهان من الشرع والعقل لا شك فيه، وجميع أولئك على سماحة لا تتعسف النزاع ولا تتعسف الريبة ولا تلتمس الغلواء

هذا الإلهام النافذ السديد في تدبير المصالح العامة، وعلاج شئون الجماعات، هو الذي أوحى إلى الرسول الأمي قبل كشف الجراثيم، وقبل تأسيس الحجر الصحي بين الدول، وقبل العصر الحديث بعشرات القرون، أن يقضي في مسائل الصحة واتقاء نشر الأوبئة بفصل الخطاب الذي لم يأت العلم بعده بمزيد، حيث قال: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها»

فتلك وصية من ينظر في تدبيره إلى العالم الإنساني بأسره لا إلى سلامة مدينة واحدة أو سلامة فرد واحد. إذ ليس أهون للعالم من حصر الوباء في مكانه، وليس من حق مدينة أن تنشد السلامة لنفسها أو لأحد من سكانها بتمريض المدن كلها لعدواها

***

على أن الإدارة العليا إنما تتجلى في تدبير الشؤون العامة حين تصطدم بالأهواء وتنذر بالفتنة والنزاع، فليست الإدارة كلها نصوصاً وقواعد يجري الحاكم في تنفيذها مجرى الآلات والموازين التي تصرف الشؤون على نسق واحد، ولكنها في كثير من الأحيان علاج نفوس وقيادة أخطار لا أمان فيها من الانحراف القليل هنا أو الانحراف القليل هناك

وذلك هو المجال الذي تمت فيه عبقرية محمد في حلول التوفيق واتقاء الشرور أحسن تمام. فما عرض له تدبير أمر من معضلات الشقاق بعد الرسالة ولا قبلها إلا أشار فيه بأعدل الآراء، وأدناها إلى السلم والإرضاء

صنع ذلك حين اختلفت القبائل على أيها يستأثر بإقامة الحجر الأسود في مكانه، وهو شرف لا تنزل عنه قبيلة لقبيلة، ولا تؤمن عقبى الفصل فيه بإيثار إحدى القبائل على غيرها ولو جاء الإيثار من طريق المصادفة والاقتراع. فأشار محمد بالرأي الذي لا رأي غيره لحاضر الوقت ولمقبل الغيب المجهول. فجاء بالثوب ووضع الحجر الأسود عليه وأشرك كل زعيم في طرف من أطرافه، وكان من قسمته هو على غير خلاف بين الناس أن يقيمه بيده حيث كان، وأن يتسلف الدعوة وهي مكنونة في طوايا الزمان، ولو علموا بها يومئذ لما سلموا ولا سلم من عدوان وشنآن

وصنع ذلك يوم هاجر من مكة إلى المدينة فاستقبلته الوفود تتنافس على ضيافته ونزوله وهو يشفق أن يقدح في نفوسها شرر الغيرة بتمييز أناس منهم على أناس أو اختيار محلة دون محلة، فترك لناقته خطامها تسير ويفسح الناس لها طريقها حتى بركت حيث طاب لها أن تبرك، وفصلت فيما لو فصل فيه إنسان كبير أو صغير لما مضى فصله بغير جريرة لا تؤمن عقباها بعد ساعتها ولو أمنت في تلك الساعة على دخل وسوء طوية

وصنع ذلك يوم فضّل بالغنائم أناساً من أهل مكة الضعيف إيمانهم على أناس من الأنصار الذين صدقوا الإسلام وثبتوا على الجهاد. فلما غضب المفضولون لم يكن أسرع منه إلى إرضائهم بالحجة التي لا تغلب من يدين بها بل تريه أنه هو الغالب الكاسب، وأنها تصيب منه المقنع والإقناع في وقت واحد: «... أوجدتم يا معشر الأنصار في لُعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر

الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار . اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار . . . »

كلام مدبر فيه الإدارة والرياسة هبة من هبات الخلق والتكوين ، فهو مدبر حين تكون الإدارة تدبير أمور ، ومدبر حين تكون الإدارة تدبير شعور ، وهو كفيل ألا يلى مصلحة من المصالح تمتورها الفوضى ويتطرق إليها الاختلال ، لأنه يسوسها بالنظام وبالتبعة، وبالاختصاص وبالسماحة. وما من مجتمع يساس بهذه الخصال ويبقى فيه منفذ بعدها لاختلال أو انحلال ، أو لخلل فى إدارة الأعمال .

عباس محمود العقاد

ليـــــلة نابغيـــــة !

للدكتور زكى مبـــارك

أخى الأستاذ الزيات :

فى نيتى أن أريح قراء « الرسالة » من شطحات قلمى شهراً أو شهرين لأفرُغ لواجبات أدبية لا يصح معها الانشغال بمواجهة القراء من أسبوع إلى أسبوع، وهى واجبات كواجبات القراء[1]

وقبل أن أشرع فى تناسى الشوق إلى قرائى ، وهو تناسٍ موجع ، أصوّر لك ولهم ما وقع بينى وبين الأستاذ لطفى جمعة ليلة المناظرة بكلية الآداب ، وكانت مناظرة عنيفة لا يزال صداها يقرع سمعى فيبدّد ما أشتهيه من الأنس بالهدوء والصفاء

وما ذكرتُ تلك المناظرة إلا جزعتُ ، وتولانى الندم على الاشتراك فى جدال يضيق به صدر الغالب والمغلوب ، لأنه لم يمض بلا هنوات مزعجات

ولهذه المناظرة تاريخ :

سألنى فريق من أعضاء اتحاد كليــة الآداب أن أشترك فى مناظرات هذا الموسم ، وعرضوا علىّ طوائف من الموضوعات لم يرقنى منها غير موضوع :

« يزدهر الأدب فى عصور الفوضى الأخلاقية »

ولكنى اقترحت أن يُعدّل فتوضع « الفوضى الاجتماعية » مكان « الفوضى الأخلاقية » فراراً من التجنى على كلية الآداب باسم الغيرة على الأخلاق !

ومضت أيام وأسابيع، والاتحاد مشغول بالبحث عمن يناظرنى من أساتذة كلية الآداب ، ثم علمت أن الأساتذة لم يرُقهم أن يناظروا « المشاغب الأكبر » على حد تعبير الدكتور هيكل باشا .

وهل من العقل أن يتقدم أحد الأساتذة لمناظرتى وقد شاع وذاع أنى أكبر المشاغبين ؟ !

هى تهمةٌ ظالمة ، كما تعرف ، ولكنها حقّت علىّ ، وسأقضى بقية العمر فى الدفاع عن نفسى ، ولكن بلا نفع ولا غناء ، لأن الناس عندنا يؤذيهم أن يصححوا رأيهم فى رجل ظلموه بلا بينة ولا برهان !

وأخيراً ، ظفر اتحاد الكلية برجل يناظرنى . ولكن ، أى رجل؟ كاتب مشهور كانت لى معه وقائع فى بعض الجرائد والمجلات؟ فقلت فى نفسى : هى مكرمة من مكرمات الأستاذ لطفى جمعة ، فقد هداه القلب الطيب إلى أننى رجل ينهاه الأدب والذوق عن الاستخفاف بأقدار الزملاء

واتصلت به تليفونيًّا لأقول له : إنى أريد أن تكون هذه المناظرة مثالاً فى التلطف والترفق ، وإنى سأبدأ خطبتى بكلمة فى الثناء عليه ، وإنى أنتظر أن يقابل الجميل بالجميل !

وكنت صادقاً فيما قلت ، لولا خاطرٌ واحد كدّر صدق بعض التكدير ، وهو الحرص على أن يبقى هذا المُناظر فلا يطير من يدى ، كما طار من كنت أرجو مناظرتهم من أساتذة الكلية . صفح الله عنهم وعفا عنى ! !

كان الأستاذ لطفى جمعة متردداً فى القبول، ثم قبل بعد تمنّع؛ والحرُّ قد ينخدع فى بعض الأحايين !

وفى تلك الأثناء نقلت الإذاعة اللاسلكية مناظرة قامت بين الدكتور طه والدكتور هيكل فى كلية العلوم ، مناظرة مرتجلة قام بها الرجلان بدون استعداد ، فقلت : يجب أن أستعدّ لتكون

---

(١) إشارة إلى قول القراء : « سأموت وفى نفسى شىء من حتى » ويريد الكاتب أن يقول إن للباحثين شواغل قد يراها الجمهور من التوافه مع أنها فى الواقع من الأمور ذوات البال عند من يعرف

مناظرة كلية الآداب أقوى من مناظرة كلية العلوم ، ولأعطى الدكتور طه والدكتور هيكل درساً فى وجوب الاحتفال بمقامات الكلام ، ولأحمى نفسى من شر المرجفين ، وأنا أدافع عن رأى شائك لا ينظر إليه المجتمع بغير الاستخفاف

ورجعت إلى مذكرات كنت أعددتها يومَ عُرِض علىّ الموضوع أول مرة ، ولكنى لم أجد تلك المذكرات ، فأقبلت على الموضوع من جديد وشغلت به نفسى سهرتين طويلتين ليصل فى الجودة والقوة إلى ما أريد

وبعد أن فرغت من تحريره وتحبيره دعوت أحد أبنائى ليقرأه علىّ فكانت فرصة لدرس طريف من دروس التربية ، فقد عرفت أن الرجل لا يدرك ما فى أسلوبه من نَبَوات إلا حين يسمعه من رجل سواه ، وكذلك غيّرتُ بعض الألفاظ وعدّلتُ بعض التعابير ، فظهرت الخطبة وهى فنٌّ من الكلام المصقول

* * *

ثم مضيت إلى كلية الآداب فى أصيل اليوم الأول من أيام آذار ، ولا يمكن الوصول إلى كلية الآداب إلا بالسير فى شارع فؤاد الذى يسُبِر الزمالك مرة ويسُبُر النيل مرتين ، ثم انعطفت السيارة فسايرت النيل حتى وصلت إلى شارع الجامعة المصرية ، عليه وعليها أطيب التحيات !

هو اليوم الأول من أيام آذار ، وأيام مصر كلها آذار ، فما تعرف بلادنا غير نضرة النعيم فى جميع الفصول

ونظرت فى الساعة فلم أجد من فسحة الوقت غير خمس دقائق ، وهى مدة لا تسمح باجتلاء المحاسن فى شارع الجامعة ، الشارع الجميل الذى كان يستهوينى فأسير فيه بتأدب واستحياء رعاية لحقوق العين والقلب فى البقعة التى صارت مراتع ظباء ، ومرابض أسود

الله أكبر ولله الحمد !

هذه كلية الآداب التى قضيتُ فيها مواسم شبابى ، يوم كنت فتًى عارم العزيمة يؤذيه أن يقال إن فى الدنيا كتاباً لم يطلع عليه ، ويوم كنت معمور القلب بأرواح الأمانى ، ويوم كنت أتوهم أن الجِد فى طلب العلم لا يظفر صاحبه بغير الإعزاز والتبجيل ، ويوم كنت إخال أن الكفاح فى سبيل الأدب قد تنصب له الموازين، ويوم كنت أومن بأن الجهاد لا يضيع فى هذه البلاد ! ! !

تقع كليتنا الغالية على يمين من يدخل حَرَم الجامعة المصرية ، جامعة فؤاد الأول . وسميت بذلك ، لأن فؤاداً العظيم كان أول رئيس للجامعة المصرية . وكليتنا الغالية لها روح قهار، لأنها شرعت للناس مذاهب التفكير فى الآداب والفنون ، ولأنها أول معهد فى مصر فتح أبوابه لحرية الفكر والعقل بلا تمييز بين العقائد والآراء

كاد الدمع يطفر من عينى حين دخلتُ كليتنا الغالية، فقد خُيِّل إلىّ أن أحجارها لا تنطق ، وإلا فكيف غاب عنى تفصيل ما فيها من حُجُرات وغُرُفات ؟ وكيف نسيتُ الأماكن التى كنت ألقى فيها دروسى ومحاضراتى على قرب العهد ؟ وكيف غفلت عَتَباتها عن الوُثوب لمصافحتى وقد صحبتُها طالباً ومدرساً من سنة ١٩١٣ إلى سنة ١٩٣٧ ودرت معها من ميدان الاسماعيلية إلى ميدان الفلكى ، ومن حى المنيرة إلى قصر الزعفران ، ثم إلى حديقة الأرمان ، ولم يزاحم هواها فى فؤادى غير الأعوام التى قضيتها بكلية الآداب فى جامعة باريس ؟

وزاد فى أساى وشجاى أنى سأخرج مهزوماً فى المناظرة التى تقام بكليتنا الغالية ، لأنى سأدافع عن رأى جرىء لا يقول به إلا من يخاطر بنفسه فيتعرض لغضب المجتمع . ولكن لا بأس فكليتنا الغالية قد علمتنا الثورة على أوهام المجتمع

وألِفتُ ما تبدد من شمل عزيمتى وصمدت إلى غرفة الأساتذة ، الغرفة التى صاولتُ فيها من صاولتُ ، وكايدتُ من كايدتُ ، يوم كنت أحسب أن مغايظة الرجال لن تكون لها عواقب سود ... فماذا رأيت ؟

رأيت الأستاذ لطفى جمعة قد انحاز إلى شابين من طلبة الكلية يدبّر معهما خطط النضال ، فأردت أن أفسد ذلك التدبير بدعوته إلى المسارعة بالنزول إلى المدرّج الأكبر حيث ينتظر جمهور المستمعين . ولكنى لم أفلح ، فقد تعلل بأنه ينتظر فنجاناً من القهوة ، ورجانى أن أعفيه من حضورى لحظات !

وسألت عن نصيرىّ فى المناظرة فرأيت فتاة حييّة اسمها ليلى، وفتًى ناشئاً اسمه صادق ، فحدقت فيهما وقلت: أين تقعان مما أريد ؟!

ونزلت إلى المدرّج بعد أن أعلن الدكتور ابراهيم مدكور أن الطلبة هم الذين سيبدأون ثم تقع الموقعة بينى وبين غريمى

وبعد تلبُّث وتمكُّث حضر الأستاذ لطفي جمعه ومعه نصيراه من الطلبة، ونصيرٌ ثالث هو الدكتور أحمد موسى، وهو فيما سمعت أديب متمكن من ناصية الفكر والبيان

ثم صرّح رئيس المناظرة بأنه أستاذ ونائب، وأنه سيطبِّق اللائحة الداخلية إذا وقع بين المتناظرين شجار، فعرفتُ أن الأمر جِدٌّ في جد، وأني سأعاني من هذه المناظرة ليلةً نابغية

وشرعتْ ليلى تتكلم، ليلى يوسف، وهي فتاة جمّلها الله بالأدب والحياء، فما كانت إلا دُمية مصقولة صيغت من العقل والذوق، وسيكون لها في حياة الأدب تاريخ، وقد تفوق الفتاة المبغومة الصوت التي نضجت قبل الأوان فأضر بها الزهو والخُيلاء

ولكن ليلى ستلحن كما تلحن سائر «الليالي» ستلحن لحناً خفيفاً في مواطن لا تسلَم فيها ألسنة «بعض» الأساتذة، ومع ذلك يثور الجمهور ويصخب ليصح له أن يضايقني ويضايقها باسم الغيرة على قواعد اللغة العربية!

ثم يتكلم الشيال أفندي فيقترح أن يحال الدكتور زكي مبارك إلى المعاش لأنه من دعاة الفوضى الاجتماعية ولأن مؤلفاته تشهد بأنه يستهين بالعادات والتقاليد!

ويتكلم بعد ذلك محمد عبد الرحمن صادق أفندي بأسلوب يشهد بأنه من طلبة كلية الآداب، كليتنا الغالية التي نذكر عهدها بالحب والعطف، ونعرف فضلها في تثقيف الأذواق والعقول

ويميل بدير متولي أفندي على أذني فيسرُّ إليَّ أنه قد يستبيح ما لا يباح في تحقير الرأي الذي أرتضيه، فآذن له بذلك، لأني من أقوى أنصار حرية الرأي، ولكن الفتى يخلف ظني به كل الإخلاف فيعلن عجبه من أن أكون مفتشاً بوزارة المعارف مع أني من دعاة الفوضى الاجتماعية، ويدعو الجمهور إلى الحذر من آرائي!

ويجيء دوري في الكلام فأبدأ بالثناء على الطالبين اللذين شتماني بلا ترفق ولا استبقاء، لأنهما من طلبة كليتنا الغالية، ولأنهما سمعا أصوات مصطفى عبد الرازق وطه حسين وشفيق غربال، ولأننا حضرنا لتمرينهم على النضال والصيال

ثم أشرع في الخطبة التي أعددتها في سهرتين طويلتين، وبعد لحظات يقوم شاب ثائر فيقاطعني مقاطعة عنيفة ويؤلب عليَّ الجمهور بشطط وإسراف، وأنظر فأراه أحد تلاميذي، التلاميذ الذين كنت أشقى في سبيلهم إلى عهد قريب

ويدور رأسي من هول ما أراه، فهذا الشاب كان موضع ثقتي، وكنت أكرمه لنفسه ولأخيه ولقرب بلده من سنتريس

وتطوف بذهني أخيلة مزعجة: فليس هذا الشاب أول من يغدر ويخون، وليست ليلتي هذه أول لياليَّ في الحرجات والضجرات، ولن تكون آخر العهد بشقائي في رحاب كلية الآداب، فسأرجع إليها لخدمة الأدب والفلسفة بعد عهد قريب أو بعيد، يوم يعتدل الميزان. وأنظر فأرى الأستاذ لطفي جمعة قد اطمأن واستراح، وأرى أنصاره في جذل وانشراح

هي إذن معركة جدية سأنهزم في ميدانها المشئوم وسيلحقني عارها الباقي، والله الحفيظ!

وينهض رئيس المناظرة فيهدد الشاب الذي يقاطعني، يهدده بالطرد، فيخشع الشاب ويستكين، ويصفق الجمهور إيذاناً بالشوق لسماع صوتي، فأمضي في إلقاء خطبتي وأنا جريح، وأضيف إلى خطبتي كلمة أقول فيها: إني اشتغلت بالتدريس في كلية الآداب أربع سنين ومن حقي عليها أن تسمح بأن أجهر في رحابها بكلمة الحق

وما قيمة الاشتغال بالتدريس أربع سنين في معهد مصريّ وقد صرّح شاعرنا شوقي بأن كل شيء في مصر ينسى بعد حين!

ما قيمة الاعتماد على الماضي وهو ذُخر الفانين؟ وبأي حق أغضب على شاب يقاطعني وقد أخذ عني أصول الثورة والصيال؟

ثم أمضي في خطبتي كالسيل الجارف فأفتن الجمهور فتنة ماحقة يضج لها خصومي بتصفيق الإعجاب ليسلموا من سخرية الجمهور الذي سَحَرَهُ بياني

ويميل الأستاذ لطفي جمعة على أذني وهو يقول: أهنئك على أن عرّضت سمعتك للأراجيف في سبيل الحق. فأبتسم وأنتظر أن يصنع كما صنعت ليظفر بتهنئتي! وينهض الخصم الشريف فيسلك في تحقيري جميع المسالك، ويدّعي أني فوضويٌّ أثيم، وينهى الجمهور عن الانخداع بآرائي، ويعلن عجبه من أن يكون لي كتاب اسمه التصوف الإسلامي في مجلدين كبيرين مع أني من أنصار الفوضى الاجتماعية، ويقضي في تحامله وتجنّيه ساعة وبعض ساعة وأنا ساهم مطرق أكاد أذوب من الخجل والحياء

وأعود إلى نفسي فأندم على تعريض سمعتي لهذا الضيم البغيض

وأعرف أنى أخطأت فى قبول المناظرة مع هذا الخصم الشريف ، وأعاهد الله على اعتزال الناس إلى يوم الممات . وما الذى يغرينى بصحبة بنى آدم ولم أر منهم غير شجا الحلوق ، وقذى العيون ؟

لقد أقمت دارى على حدود الصحراء لآنس بظلمات الليل ، ولأنسى أننى موصول الأواصر بهذا الخلق ، ولأناجى مَوَات البادية حين أشاء ، ثم قهرنى حب العُزلة على أن أغلق نوافذ دارى فلا أرى الوجود إلا بأوهام من طيف الخيال

لطفى جمعة الرجل الفاضل الذى أثنيت عليه فى خطبتى يقضى فى شتمى ساعة وبعض ساعة ؟ تلك إحدى الأعاجيب ، إن كان النكر فى زماننا من الأعاجيب !

أين أنا من دهرى وزمانى ؟ أمثلى يُشتَم جهرة فى كلية الآداب ، وقد حملتُ على كاهلى أحجار الأساس ؟

هو ذلك ، وعلى نفسى أنا الجانى ، فقد عرَّضت سمعى للجدال الذى يسمونه مناظرات ! وينتهى الأستاذ لطفى جمعة من خطبته بعد أن مزَّق آرائى كل ممزَّق ، وبعد أن شفى صدره منى ، وكانت بينى وبينه ترات وضغائن وحُقود

ويعلن رئيس المناظرة أن ليس لى غير خمس دقائق . وما الذى أستطيع أن أصنع فى خمس دقائق وقد جُرِحت أشنع تجريح ؟ ما الذى أستطيع أن أصنع وقد سمعت ما أكره فى معهد يؤذينى أن أذكر فيه بغير الجميل ؟ فى خمس دقائق يعرف الأستاذ لطفى جمعة أن لحمى مرّ المذاق ، ويؤمن وهو كاره بأن التطاول على رجل مثلى لا يمرّ بلا جزاء ، ويعرف من قاطعونى أن شأنى أعظم مما يظنون. فى خمس دقائق تحوّل السامعون إلى من حال إلى أحوال فصاروا جميعاً من أنصارى ، فى خمس دقائق شهدتْ أحجار كلية الآداب بأن المنطق أعظم من التنكيت ، فى خمس دقائق عرف غريمى أن سهر الليل فى الاستعداد للحرب أمر يوجبه العقل الصحيح

وبعد كلمات ألقاها الأستاذ منـدور والدكتور موسى طلب رئيس المناظرة أصوات الحاضرين فكانوا جميعاً فى صفى ، وهتف هاتف : « تحيا الفوضى الاجتماعية ! »

فأجبت : « تسقط الفوضى ويحيا النظام ! »

والآن ، يا صديقى الزيات ، أحب أن أسجل فى مجلتك ظاهرة من شمائل الجيل الجديد ، لتعرف أن اليأس الذى يساورنا قد يكون من الأوهام فى أكثر الأحايين

وهذه الظاهرة هى يقظة الجمهور فى هذا العهد ، وقلة انخداعه بالتزاويق والتهاويل . وأؤكد لك أنه كان مفهوماً عند أنصارى أنى لن أخرج من تلك المعركة بغير الهزيمة ، وأن التملق بالشكليات سينفع خصومى فيظفرون بالنصر المبين

وقد أراد الأستاذ لطفى جمعة أن يغض من جهودى فقال إنى شغلت نفسى بالموضوع أياماً وليالى ، ولكن هـذه السخرية لم تنفع ، لأن الاستعداد للنضال من أصول التشريف ، وهو يقابل عند الجمهور بالإعزاز والتبجيل . وهل كان يجوز لى أن أستخف بمناظرة تقام فى كلية الآداب ؟

وهذا النصر الذى نظفر به من وقت إلى وقت هو الذى ينسينا ما قد نجنى من الحنظل فى الحياة الأدبية ، وهو الذى يهوّن ما نعانى من عقوق الزملاء ، أو « بعض » الزملاء !

وقد حدثتك فى مطلع هذا الحديث أنى سأريح قراء الرسالة من شطحات قلمى شهراً أو شهرين ، فلتعلم وليعلموا أنى قد أشتاق إليك وإليهم فأرجع بعد أسبوع أو أسبوعين ، والسلام .

زكي مبارك

* * *

حاشية : قرأت الكلمة الطريفة التى نشرتها الرسالة للأستاذ شكرى فيصل ، وأنا واثق بأنه رأى أمر العتاب هيناً بعد أن قرأ خطبتى فى الرسالة . أما اعترافى للأقطار العربية وحبى لها وشغفى بها فهو أظهر من أن يحتاج إلى براهين .

في الاجتماع اللغوي

صراع اللغات

للدكتور علي عبد الواحد وافي

مدرس العلوم الاجتماعية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

ذكرنا في المقالين السابقين[1] أن عوامل الصراع بين اللغات ترجع أهمها إلى عاملين: أحدهما أن ينزح إلى البلد عناصر أجنبية تنطق بلغة غير لغة أهله، وثانيهما أن يتجاور شعبان مختلفا اللغة فيتبادلا المنافع، ويتاح لأفرادهما فرص للاحتكاك المادي والثقافي. وقلنا إن نتائج هذا الصراع تختلف باختلاف الأحوال: فتارة ترجح كفة إحدى اللغتين المتنازعتين فتصرع اللغة الأخرى؛ وتارة تتكافأ قواها أو تكاد فتعيشان معاً جنباً لجنب

ثم عرضنا للحالات التي يحدث فيها تغلب إحدى اللغتين على الأخرى. فذكرنا أنها ترجع إلى أربع حالات: اثنتان منها تتصلان بالعامل الأول (نزوح عناصر أجنبية إلى البلد) واثنتان تتصلان بالعامل الثاني (مجاورة شعبين مختلفي اللغة). فأما حالتا العامل الأول فهما:

١ – أن يكون كلا الشعبين همجيًّا قليل الحضارة منحط الثقافة، ويزيد عدد أفراد أحدهما عن عدد أفراد الآخر زيادة كبيرة. ففي هذه الحالة تتغلب لغة أكثرهما عدداً سواء أكانت لغة الغالب أم المغلوب، لغة الأصيل أم الدخيل؛ على شريطة أن تكون اللغتان من شعبة لغوية واحدة أو من شعبتين متقاربتين: كما كان شأن الانجليزية مع النورماندية

٢ – أن يكون الشعب الغالب أرقى من الشعب المغلوب في حضارته وثقافته وآداب لغته، وأشد منه بأساً، وأوسع نفوذاً. ففي هذه الحالة يكتب النصر للغته، فتصبح لغة جميع السكان، وإن قل عدد أفراده عن أفراد الشعب المغلوب؛ على شريطة أن تدوم غلبته وقوته مدة كافية، وأن تقيم بصفة دائمة جالية يعتد بها من أفراده في بلاد الشعب المغلوب، وأن تمتزج بأفراد هذا الشعب، وأن تكون اللغتان من شعبة لغوية واحدة أو من شعبتين متقاربتين: كما كان شأن اللاتينية مع لغات كثير من الأمم التي تغلب عليها الرومان في العصور القديمة؛ والعربية مع لغات معظم الأمم التي تغلب عليها العرب في العصور الوسطى

وأما الحالتان اللتان يؤدي فيهما العامل الثاني (مجاورة شعبين مختلفي اللغة) إلى هذه النتيجة، فهما:

١ – أن تكون نسبة النمو في أحد الشعبين المتجاورين كبيرة، لدرجة يتكاثف فيها ساكنوه، وتضيق مساحته بهم ذرعاً، فيشتد ضغطه على حدود الشعب المجاور له، وتكثر تبعاً لذلك عوامل الاحتكاك والتنازع بين اللغتين. وفي هذه الحالة تتغلب لغة الشعب الكثيف السكان على لغة المناطق المجاورة له؛ على شريطة ألا يقل عن أهلها في حضارته وثقافته وآداب لغته؛ ويتأكد انتصاره إذا كان أرقى منهم في هذه الأمور: كما كان شأن الألمانية مع لغات المناطق المجاورة لألمانيا بسويسرا وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا والنمسا

٢ – أن يتغلغل نفوذ أحد الشعبين في الشعب المجاور له. وفي هذه الحالة تتغلب لغة الشعب القوي النفوذ؛ على شريطة ألا يقل عن الآخر في حضارته وثقافته وآداب لغته؛ ويتأكد انتصاره إذا كان أرقى منه في هذه الأمور: كما كان شأن الفرنسية والأسبانية مع لغة شعوب الباسك بمناطق البرانس؛ والإنجليزية والفرنسية مع اللغات السلتية بإيرلندا واسكتلندا وويلز ومنطقة البريتون

وسنختم هذا البحث في مقال اليوم بالكلام عن الحالات التي تعجز فيها كلتا اللغتين عن التغلب على الأخرى

* * *

فيما عدا الحالات الأربع السابقة تتكافأ قوى اللغتين المتنازعتين فتعيشان معاً جنباً لجنب، وتسلك كل منهما في سبيل تطورها المنهج الذي يتفق مع طبيعتها، وترسمه لها نواميس الارتقاء اللغوي

والأمثلة على ذلك كثيرة في تاريخ الأمم الغابرة وفي العصر الحاضر.

فاللغة اللاتينية لم تقو على اللغة الإغريقية، مع أن الأولى كانت لغة الشعب الغالب، وذلك لأن الإغريق، مع خضوعهم

(١) أنظر عدد ٣٤٧ صفحة ٣٢٥ وتوابعها، وعدد ٣٤٩ صفحة ٤١٧ وتوابعها

١٤٠٣٤

للرومان ، كانوا أعرق منهم حضارة وأوسع ثقافة وأقدم لغة .

وقد سبق أن انهزام لغة الشعب المغلوب أمام لغة الشعب الغالب لا يحدث إلا إذا كان الشعب الثاني أرقى من الشعب الأول في جميع هذه الأمور

ولهذه الأسباب نفسها لم تقو لغات الشعوب الجرمانية التي قوضت الامبراطورية الرومانية الغربية في فاتحة العصور الوسطى على التغلب على اللغة اللاتينية في البلاد التي قهرتها بمناطق الجول La Gaule (فرنسا) وما إليها

واللغة اللاتينية لم تقو على التغلب على لغات أهل بريطانيا العظمى ، على الرغم من فتح الرومان لبلادهم واحتلالهم إياها نحو مائة وخمسين سنة ، وعلى الرغم من أن الشعب الغالب كان أرقى كثيراً من الشعب المغلوب في حضارته وثقافته . وذلك لأن الجالية الرومانية في الجزر البريطانية لم تكن شيئاً مذكوراً ، ولم تمتزج امتزاجاً كافياً بأفراد الشعب المغلوب . وقد تقدم أن الغلب اللغوي لا يتم في مثل هذه الحالات إلا إذا أقامت في البلاد المقهورة جالية يعتد بها من أفراد الشعب الغالب ، وتم الامتزاج بينها وبين أفراد الشعب الآخر

واللغة العربية لم تقو على الانتصار على اللغة الفارسية ، على الرغم من فتح العرب لبلاد فارس وبقائها تحت سلطانهم أمداً طويلاً ، وذلك لأن الشعب العربي لم يكن إذ ذاك أرقى حضارة من الشعب الفارسي ، ولقلة عدد الجالية العربية بفارس وضعف امتزاجها بالسكان ، ولانتماء اللغتين إلى فصيلتين مختلفتين (فالعربية من الفصيلة السامية ، والفارسية من الفصيلة الهندية ــ الأوربية)

واللغة العربية لم تقو على الانتصار على اللغات الإسبانية على الرغم من فتح العرب للأندلس وبقائها تحت سلطانهم نحو سبعة قرون . وذلك لانتماء العربية إلى فصيلة غير فصيلة اللغات الإسبانية ولعدم امتزاج الشعوب القوطية بالشعب العربي

واللغة التركية لم تقو على التغلب على لغة أية أمة من الأمم التي كانت خاضعة للامبراطورية العثمانية بأوربا وآسيا وأفريقيا ، على الرغم من بقاء هذه الأمم مدة طويلة تحت سلطان تركيا ، وذلك لاختلاف فصائل اللغات (فالتركية من الفصيلة الطورانية ، على حين أن لغات معظم الأمم التي كانت خاضعة لتركيا من الفصيلة السامية — الحامية أو الهندية — الأوربية) ، ولأن الترك كانوا أقل حضارة وثقافة من معظم الشعوب التي كانت تابعة لهم ، ولقلة عدد جاليتهم في بلاد هذه الشعوب ، ولضعف امتزاجها بالسكان

ولم تقو الانجليزية على التغلب على اللغات الهندية ، على الرغم من خضوع الهند لانجلترا منذ أمد طويل ، وذلك لأن شعوب الهند أعرق حضارة من الانجليز ، ولقلة عدد أفراد الجالية الانجليزية بهذه البلاد ، وعدم امتزاجها بالسكان

والجوار بين فرنسا وانجلترا وإيطاليا وأسبانيا والبرتغال لم يؤد إلى تغلب لغة شعب منها على لغة شعب آخر . لأن احتكاك لغاتها لا ينطبق على حالة من الحالتين اللتين يحدث فيهما التغلب بالمجاورة .

ولهذا السبب نفسه لم يؤد الجوار بين الفارسية والعراقية والتركية والأفغانية إلى تغلب لغة منها على لغة أخرى

وكذلك شأن الإنجليزية في الولايات المتحدة بأمريكا الشمالية مع الأسبانية المجاورة لها في المكسيك ، وشأن البرتغالية التي يتكلم بها في البرازيل مع الأسبانية التي يتكلم بها في الجمهوريات المتاخمة للبرازيل بأمريكا الجنوبية؛ وشأن الحبشية مع الصومالية. وهلم جرا

***

ولكن عدم تغلب إحدى اللغتين لا يحول دون تأثر كل منهما بالأخرى .

فقد تأثرت اللاتينية بالإغريقية في أساليبها وآدابها، واقتبست منها طائفة كبيرة من مفرداتها .

وقد تركت اللغة العربية آثاراً قوية في الأسبانية ، وبخاصة في المناطق التي كانت تسمى بالأندلس أو أندلوسيا Andalousie حيث دام سلطان العرب عدة قرون .

والصراع بين العربية والفارسية، وإن لم ينته إلى تغلب إحداهما قد ترك في كل منهما آثاراً واضحة من الأخرى ؛ وبخاصة من ناحية المفردات .

والصراع بين التركية ولغات الأمم التي كانت خاضعة للامبراطورية العثمانية ، وإن لم ينته إلى تغلب لغوى ، قد ترك في التركية آثاراً قوية من هذه اللغات ، وبخاصة من اللغة العربية وترك كذلك في كثير من هذه اللغات آثاراً ظاهرة من التركية وقد بلغ هذا التأثر مبلغاً كبيراً في بعض هذه اللغات : فلغة العراق في العصر الحاضر مثلاً قد أخذت عن التركية كثيراً من المفردات

وبعض الأصوات التى لا نظير لها فى العربية ، (كالصوت الذى ينطق به بين الشين والجيم المعطشة فى مثل « عربنجى ») وطائفة من القواعد الصرفية كقواعد النسب والنعت والإضافة فى مثل « عربنجى » (نسبة إلى العربة) ، « خوش ولد » : (خوش كلمة فارسية الأصل معناها : حسن) ـ كتبخانة « دار الكتب »

والإنجليزية الحديثة فى انجلترا والفرنسية الحديثة فى فرنسا تتقارضان المفردات منـذ أن أتيح للشعبين المتجاورين فرص للاحتكاك وتبادل المنافع .

* * *

وكذلك تفعل الفرنسية بفرنسا مع الألمانية بألمانيا(١) ومع أخواتها المجاورة لها فى الجنوب الشرقى والغربى بإيطاليا وأسبانيا والبرتغال .

وتجاور التركية والفارسية ، وإن لم يؤد إلى تغلب إحداهما على الأخرى ، قد ترك فى التركية آثاراً واضحة من الفارسية ، وبخاصة فى المفردات، وترك كذلك فى الفارسية بعض آثار من التركية

وتجاور الفارسية والعراقية فى العصر الحاضر ، وإن لم ينته إلى تغلب لغوى ، قد نقل إلى كل منهما كثيراً من آثار الأخرى فى المفردات والقواعد والأساليب

وتجاورة الجرمانية واللاتينية فى العصور القديمة ، وإن لم يؤد إلى تغلب واحدة منهما على الأخرى ، قد نقل إلى أولاهما كثيراً من مفردات الثانية(٢) ، وترك فى الثانية بعض آثار من الأولى(٣)

وقصارى القول : متى اجتمع لغتان فى بلد واحد أو تجاورا لا مناص من تأثر كل منهما بالأخرى ؛ سواء أتغلبت إحداهما أم كتب لـكلتيهما البقاء . غير أن هذا التأثر يختلف فى مبلغه ومنهجه ونواحى ظهوره ونتائجه فى الحالة الأولى عنه فى الحالة الثانية .

فإذا كان الغلب كتب لإحداهما تراها تسيغ كل ما تأخذه من الأخرى مهما كثرت كيته ؛ فيستحيل إلى عناصر من نوع عناصرها ، فتزداد به قوة ونشاطاً ، بدون أن تدع له مجالاً للتأثير فى بنيتها أو تغيير تكوينها الأصلى . على حين أن المغلوبة لا تقوى على مقاومة ما تقذفها به الغالبة من مفردات وقواعد وأساليب ، ولا تكاد تسيغ ما تتجرعه منها ، فيتخمها ويضعف بنيتها ، فتخور قواها ، وتفنى أنسجتها الأصلية شيئاً فشيئاً حتى تزول : كما كان شأن الإنجليزية مع النورماندية ، والعربية مع القبطية

وإذا كان البقاء قد كتب لـكلتيهما تعمد كل منهما إلى ما تأخذه من الأخرى فتسيغه ، وتفيض عليه من حيويتها ، وتقاوم آثاره الهادمة . فتبقى كل منهما متميزة الشخصية ، موفورة القوى سليمة البناء : كما كان شأن الفارسية مع العربية .

على عبد الواحد وافى

ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة باريس

(١) انتقل إلى الألمانيـة الحديثة ، تحت تأثير جوارها لفرنسا ، كثير من المفردات الفرنسية ، لدرجة أزعجت أولى الأمر وحلتهم على التدخل لصد هذا التيار وإحلال مفردات ألمانية محل المفردات الفرنسية الدخيلة . ولـكن قسطاً كبيراً من جهودهم بهذا الصدد قد ذهب أدراج الرياح

(٢) كثير من المفردات الألمانية تبدو جرمانيه خالصة ، ولـكن يظهر عند البحث أنها مقتبسة في الأصل من اللاتينية . فمن ذلك مثلا : Schreiben يكتب، lesen يقرأ ، katze قط ، pflanze نبات. فانها على الرغم من ظاهرها الجرمانى مأخوذة من الـكلمات اللاتينية scribere, legere, catta, planta

(٣) غير أن تأثر اللاتينية بالجرمانية كان فى حكم العـدم قبل غارات الجرمان على الأمبراطورية الرومانية الغربية فى فاتحة العصور الوسطى

الانتاج العقلى للأمم

للدكتور جواد على

كانت الفكرة السائدة حتى أوائل القرن الثانى عشر تقول بتطور البشرية تدريجياً من نقص إلى كمال ، ومن جهل إلى علم . وقد اختلفوا فى المبدأ ، هل كان الإنسان فى بدء خلقته كاملاً ، ثم انتكس وتدهور لخطيئة وقع فيها ، ثم بدأ يستغفر من ذنبه ، ويكفر عن سيئاته ، أو أنه بدأ كما نعرفه الآن ، ثم هو آخذ فى التطور إلى التكامل شيئاً فشيئاً ، حتى يعود الإنسان الكامل ذا المثل العليا التى يريدها بعض الفلاسفة وأصحاب الأحلام البعيدة[1] . غير أن تطور العلم الطبيعى ، وانتصار أوربا فى ساحات الفن والصناعات الضخمة والاستعمار ، زلزل هذه الفكرة وولد فى نفوس العلماء من أبناء تلك القارة ، فكرة الاستئثار بالزعامة والقيادة العالمية . فقسمت الشعوب العالمية إلى طبقات وأجناس لكل منها خواص وأوصاف كما هو شأن عالم الحيوان والنبات . وإذا كان علماء النبات أو الحيوان يقسمون العالم النباتى أو الحيوانى إلى فصائل وأجناس ، فلم لا يقسم علماء الأجناس البشرية ، البشر إلى فصائل وأجناس كذلك ؟ تستأثر أوربا بالفصائل العالية والأوصاف الراقية ؛ ثم تعطى ما تجود به للفصائل التى تمت إليها بصلة وقرابة ، ثم الأبعد فالأبعد .

وبعض الآراء المعتدلة ترى العالم مؤلفاً من مجموعة حضارات[2]

(١) انظر ذلك فى الفلسفة المسيحية وخصوصا الدور المسمى scholastik ومبحث Gnade أو الخلاص من الخطيئة وفلسفة Fichte ١٧٦٢ــ١٨١٤ وكذلك Herder (١٧٤٤ ــ ١٨٠٣) فى كتابه I deen mur Philosophie der Geschichte der menschheit وكذلك الفيلسوف هيكل Hegel (١٧٧٩ ــ ١٨٣١) فى كتابه Die Vorlesungen über die Philosophie der Geschichte

(٢) تميز اللغة الألمانية بين كلمة Kultur المأخوذة من اللاتينية Cultura من Colere ومعناها الاعتناء بالأرض وإصلاحها وزرعها فاستعملتها للعناية بالبشر وخصصتها بالمسائل الروحية فقط والناحية النفسية مثل الشعور والعواطف والديانة والموسيقى والاجتماع والسياسة والتربية على اختلافها (انظر ص ٣٠١ Philosophisches wörterbuch و Heinrich Schmidt واستعملت كلمة Zivilisation المدنية المأخوذة من اللاتينية كذلك Civis للدلالة على الحالة التى تعقب التوحش ثم خصصت بعد ذلك للانتاجات العقلية =

مستقلة لكل منها روحية خاصة ونفسية سماها (نفسيات الحضارة Kulturseelen) كما هو رأى الفيلسوف Spengler و Oswald تمر عليها جميع أدوار الحياة المعروفة من ولادة وطفولة وشباب ثم شيخوخة فمات ، تستغرق هذه المدة حوالى ألف سنة ، وأن ثلاث حضارات جاءت على التوالى تكمل الواحدة الأخرى وهى الحضارة اليونانية وسمتها (apollinische) والحضارة العربية وخاصيتها (magic) والحضارة الأوربية الجرمانية وهى (faustische)[1] بينما رأى الفيلسوف الألمانى الآخر Graf Herman Keyserling (كراف هرمان كيسرلنك مؤسس مدرسة الحكمة فى مدينة دارمشتد Darmstadt) تنوع الحضارات البشرية كذلك واختلافها ولكنها ترجع كلها إلى أصل واحد ومنبع منظم هو القوة الخارقة الموجودة فى البشر التى تدفع الأمم بالسير إلى الأمام . قد تكون هى الحكمة (weisheit) لذلك كان يرى وجوب الاستفادة من الحكمة بدلاً من العلم المجرد[2]

وقد نشأ من جراء البحث المتوالى فى اختلاف عقليات الأمم وقابليات إنتاجها بحث خاص يسمى Kulturmorphologie غايته التعمق فى دراسة أمم الأرض ، واستخراج الأسباب التى أدت إلى ازدهار الحضارات أو هبوطها . وقد قسم العالم A. Sutherland شعوب العالم إلى أربع طوائف :

١ — الشعوب الفطرية ، أو التى تعيش على الطبيعة الأولى وسماها Naturvölker

٢ — الشعوب المتوحشة البربرية Barbarvölker

٣ — Zivilvölker أو الشعوب المتمدنة

٤ — Kulturvôlker أو الشعوب المتحضرة . ولكل من

= الظاهرة مثل أشكال المدن الصناعات أى الصناعات والفنون الآلية من البشر . ومتى ما انحطت الحضارة تهبط إلى المدنية قد يمكن أن تتساوى الشعوب فى المدنية أما من ناحية الحضارة فلا يمكن ذلك إذ أن لكل شعب عواطف وروحيات خاصة به انظر نفس الكتاب كذلك ص ٧٤٦ واللغة الانكليزية والفرنسية لا تميز بين الكلمتين انظر كتاب Geschichte der Z. in England

(١) انظر كتاب Phi. wörterbuch ص ٦٢٠ وكتاب Lehrbuch der Oeschichte der Philosophie و Windelband ص ٦٠٩ مادة ٣ فصل ٤٩

(٢) أنظر Phi. wörterbuch ص ٣٢٨ وكتاب Der mythus ص ٢٩٦ ، ٦٠ ، ١١٥ ، ٤٠٣

هذه الأقسام درجات ثلاث : واطئة ، وسطى ، وعليا(١)

ولكن هنا مشكلة عظيمة تجابه الباحث ، وهى الدوافع الخفية التى تدفع بالشعوب إلى الحضارة وإلى إنتاجها الروحى ، هل هو عامل داخلى يدفعها إلى ذلك دون مؤثر خارجى ، أو عامل خارجى بحت كما يذهب إليه الماديون وأتباع كارل ماركس، أو دوافع المحيط الخارجى كالزمان والمكان كما هو رأى العالم Les Frobenius (ولد ١٨٧٣) (أنظر ص ١٩٣ Phi. wörterbuch) وبين المبدأين بون شاسع كما يظهر . ومن أتباع المذهب الأول العالم الفرنسى Gobineau ِ Le Bon و Gustave (١٨٤١ـ ١٩٣) و H. st. Chamberlain و Ratmenhafer و Waltmann و V. Eickstedt فى ألمانيا و Ward فى أمريكا. جعلوا العنصرية العامل الأساسى فى تكوين الحضارة. ومن هذه النظرية استحدثت النازية رأيها من أن الحضارة العالمية نتيجة العقلية الآرية فقط، وأن العالم يتألف من طبقات ثلاث حسب رأى هتلر مؤسس هذا المذهب، من :

١ — شعوب أسست الحضارة Kulturbegrunder

٢ — وشعوب تنقل الحضارة دون أن تضيف إليها شيئاً أو تغير فيها، وسماها Kulturträger

٣ — وشعوب هدمت الحضارة وأفسدتها سماها : Kulturmerstörer ومن هذه الشعوب الروسي البلشفى، ولا أدرى أغير رأيه الآن بعد اتفاقه مع البلاشفة أم لا

وتتلخص فكرته فى أن الحضارة البشرية نتيجة عاملين فقط : الدم والأرض Blut und Boden والعنصرية هى المظهر الخارجى للروح(٢)

على عكس هــذه النظرية تماماً نظرية « كارل ماركس » Karl Marx (١٨١٨ — ١٨٨٣) مؤسس المذهب المنسوب

(١) أنظر كتاب Phi. wörterbuch ص ٣٥٣ وكتابه المشهور aiber den wrsprung und das wachstum des moralischen instinhts 1898

(٢) انظر كتاب هتلر كفاحى Mein Kampf جـ ١ ص ٢٨٥ ، ٣١٦ ، وكذلك كتاب روزنبرك Der Mythus ص ٦٠ ، ١١٥ ، ٤٠٣ وكتابه Blut und Boden ١٩٣٤

إليه والبلشفية والشيوعية التى تتخذ المادة كأساس فى كل شىء إذ يقول : « الآراء السائدة فى زمن ما تمثل آراء الطبقة الحاكمة فى ذلك الزمن(١) » وكذلك قوله: «غيروا الوضع السياسى والوضع الاقتصادى تغيروا بذلك البشر(٢) » ولذلك تحارب البلشفية النظام الرأسمالى لأنها تعتقد أنه مصدر كل شر، وبإزالة هذا النظام تتغير العقلية البشرية وتفكيرها ويظهر تفكير عالمى جديد . وهذا الرأى مأخوذ بصورة مكبرة عن المبدأ المادى الذى يجعل المادة أساس كل شىء والروح نتيجة عمل الدماغ . بل لقد غالى الفيلسوف فوريباخ (١٨٠٤ — ١٨٧٢) Ludwig Feurbach حتى قال : « الإنسان يكون حسبما يكون أكله(٣) »

لست بمتعرض للنقد هنا ولكن أقول: للطرفين غلو عظيم، وكلا الرأيين قديم فى تأريخه يرجع إلى عصور اليونان وربما يرجع إلى أقدم من ذلك . وإنى أرى أن هنالك آراء عامة تطرق إليها عقل كل إنسان، كل على حسب قابليته ومحيطه ، ومن هذه الآراء هــذه المشكلة ، ولكن الأساليب فى معالجتها تختلف والكلمات تتغير ؛ والاكتفاء بالدم والأرض فى تعيين الإنتاج العقلى للأمم أمر يخالفه الواقع . ونرى أن التطور الاقتصادى مثلاً قد قلب أوربا رأساً على عقب وغير مقاييسها الأدبية والأخلاقية والنزعة الروحية التصوفية التى سادت ألمانيا والعالم بعد الحرب العظمى ، وأن حب التشاؤم الذى ساد كذلك، وظهور مايسمى بـ Sexualität أو الميول الشاذة بأجلى مظاهرها ومعالجتها علناً، وظهور مذهب expressionismus ومذهب impressionist(٤) تدل على أن المادة مؤثرة فى الروح لا محالة . وكذلك من باب المغالطة جعل الإنسان آلة تتحرك بمؤثر خارجى كالآلات الصماء التى تشتغل فى المعامل. وما نجده من العوامل الروحية فى الطفل وفى حالات المجرمين بالطبيعة ، والذكاء

(١) انظر كتاب الاشتراكي الهولندى Fiendrik de man المسمى Der Somialismus ais Knltur bewegung ص ٥

(٢) انظر نفس الكتاب ص ٦

(٣) انظر كتاب Vorländer Geschichte der Philosophie, ص ٤٢٢

(٤) أنظر كتاب Curt Gebauer المسمى : Detsuche Kultur Geschichte der Neumeit فصل الحضارة بعد الحرب العظمى

أو الجمود الفكرى يناقض النظرية المادية تماماً

ولـكن ما هى المقاييس التى ستنتخب للحكم على أمة بأنها متحضرة وعلى درجة حضارتها ؟ أجـد أن الأساليب المتبعة الآن فى أوربا فى تعيين الحضارات كلها مقاييس واهنة ، إذ هى تقيس كل حضـارة بالنسبة إلى المقاييس التى لديها ، وبالنظر إلى العرف أو العادات أو الذوق الذى تراه ، وهذا ما يدعو إلى الحكم المخطئ طبعاً . أضف إلى ذلك أن دراسة الإنتاج الروحى أمر عسير جداً ويحتاج إلى إلمام كثير بالظروف والأحوال التى تحيط بتلك الأمة التى ستدرس أو يحكم عليها . فالعزم Wille مثـلاً يجعله كتاب أوربا اليوم من أهم ميزات الأوربى ، وكذلك حبه للسيطرة eroberung Geist ولكن لو حللنا الظروف والأحوال التى حطمت هذه الميول ، وجو الشرق المحرق وخيراته الكثيرة لوجدنا أن تلك لم تعد ميزة عقلية، إنما هى ناحية وردت عن طريق الحاجة والمحيط

إن الفيلسوف نيتشه يجعل الحضارة ترادف « العزم على العمل » التى يرددها دائماً will mur macht . وقد أخذت الفاشية ذلك ، وموسولينى من أكبر المحبين لفلسفة نيتشه ، فجعل الامبراطورية تشمل الناحية الروحية كذلك ، فهو ينص فى كتابه الذى ألفه فى مبادئه على أن السيطرة والاستيلاء Impero لا تقتصر على السيطرة بكثرة الجنود والأراضى، بل تشمل سيادة العالم الروحى وتقوية الإرادة والعزم . وضعف هذه معناه الانحطاط والتدهور (١)

مراد على
خريج جامعة هامبرك بألمانيا

---

(١) أنظر كتاب موسولينى Benito Mussolini, La dottrina del Fascismo Con Una Storia del Movimento fascista di Gioachino Volpe. 1932.

تأمــــلات

لا أدرى يا فتاتى كنه نظراتك، ولا أخدع النفس بتصوراتى؛ إنما بعينيك سواد يغمر ضوؤه فؤادى ، ويذيب حره جنانى . أسمع صوتك المتهدج تحاولين أن تخفى عليه المستحيل من ثباتك ، وأحس خفقان قلبى يعلوه هذا الشحم واللحم ، فتخفى ضرباته على وجدانك .

تضربين يا فتاتى فى حدود الثلاثين ، ولما تكادى ، وأغذ أنا السير والأربعون من ورائى؛ فبيننا ما يسوغ لك مناداتى بيا أبى. وكم يحمل هذا النداء من عطف ومن مرثية ! وكم تتجلى فيه الحقيقة المرة ، وتشرق به النفس الظمآى إلى فيض الحب ! ... كم يردنى إلى اليأس قدر ما أرتد إلى الأمل ... لكن ، يا فتاتى ، قد آثرتك بحواسى ، وهى تهتف بك وتهيب ، فهل تستجيبين ؟

وكيف تستجيب يا صديقى ، وقد كان ما مضى كله عبثاً فى عبث ... لقد فتحت عينىّ عليه ، وكانتا مغمضتين ، فروعنى ما رأيت : رأيت سداً هائلاً يقوم بينى وبينها ، هو فرق ما بينى وبينها من سن ... دروجى إلى الكهولة ، وخطرها فى مطارف الشباب هو الذى أترع قلبى غماً ، وأزال الغشاوة عن عينىّ ...

رأيت الأوهام بعين الحقيقة تمضى فراراً لا تلوى على شىء . وكأنها خشيت أن تلقانى وجهاً لوجه ، فأبصق من مر الحقيقة على وجهها. خجلت أوهامى فانحسرت عن بصيرتى، وخلفت أثرها فى الكآبة التى لا تبرح تلازمنى

ظلمتنى يا فتاتى حين أرخيت لى فى حبل الأمل فتعلقت به وشددت عليه ، وتشبثت وكأنى أتشبث بالحياة ، وأية إعاءة حادة كانت تكفى لقطع الحبل لأنه من عمل الشذوذ ومجانبة الحقائق ، والعمى عن الحدود . لكن حبلى لم ينقطع بشىء حاد . نظرة لا حياة فيها ، لأنه لا اكتراث فيها ، كفت لأن تقطع حبل آمالى بعد إذ كانت تحييها فى سالف الأيام نظرة أخرى . وفتور أدى إلى التثاؤب وأوهى منه ، طعننى فى الصميم فكانت الصرخة التى فتحت عينىّ على حلمى المنكوب

بلى يا فتاتى ! لقد نكبت كما لم ينكب غافل ، وعاودنى الرشد غير رشيد ، وحزّت الحسرة فى فؤادى ولن تزال تحز إلى الأبد

كنت ماثلة لعينى ، فى اليقظة وفى المنام ، فى السر وفى العلن ، وخلياً ومشغولاً ، ومغتبطاً ومكموداً .

ومثلت لعينى بعد الخيبة أجلى ما تكونين ، وأنضر ما تكونين ، تعلو شفتيك تلك الابتسامة الحائرة فتزيد فى حيرتى وتثير من حسرتى

شربت المر ليعوضنى من حلوك ، وألزمت حواسى حدها لأفر من طيفك . ثم عمدت إلى مخيلتى وقد خفت على نفسى الخبال فمسحت منها صورتك إلى حين . ثم ضبطت خيالك متلبساً بالسطو على رأسى المضطرب وأعصابى المحطمة وليس بها لمثلك غناء فأقصيته ، وأغمضت عينى دونه ، وذهبت ألتمس السلوان

وكيف تسلو يا صديقى ، بل كيف تجبن عن احتمال الذكرى وتهيب وجه الحبيب ؟ أتراك خشيت الألم ولوعة الهوى ، وما الهوى من دون لوعة وألم ؟ أتريد المتعة الرخيصة ؟ إنك إذن لأنانى أو عابث ؛ وإنى لأعيذك يا صديقى أن تكون هذا أو ذاك

فليغشَ نومك طيف الحبيب ، وذهنك رسمه ؛ وليكن تفكيرك فيه وعيشك به وله ؛ وليكن بعد ذاك ما يكون . فالنار التى تتأجج فى قلبك ، والجرح الذى يحسه صدرك ، يطهران نفسك التى بين جنبيك . وما هو إيثار الروح على الجسد إن لم يكن فى تعففك وعفافها ، واطراح الإغراء من جانبك وجانبها

ليكن جمال نفسها هو الذى يستهويك لا فتنة الجسد . وليكن صوتك فى سمعها كصوتها فى سمعك رحمة وخيراً لا شراً وإغراء

ستألم حين لا تطفئ المتعة نار قلبك المتأججة، فما نفعك بمتعة تطفئ الإيمان وتميت القلب ؟ إنما نفعك بالألم الذى يرهف حسك ، ويضىء نفسك ، ويخضع جسدك . إنما نفعك فى البقاء لا الفناء، فى بقاء نارك متأججة ، ونفسك نيرة ، بقاء للحب الذى لا تعرفه المادة ولا ينبغى أن تعرفه ، بقاء لروحانية البشر التى تتمثل فى الألم ، الألم يا صديقى ولوعة الحب والكآبة التى تذيب جسدك كالشمعة لتحترق وتضىء

كل أولئك يا صديقى عناصر تجعل منك الإنسان المنشود لا الإنسان الموجود .

(م . د)

من وراء المنظار

مجلس أدباء

طالما رغبت أن أرى هذا المجلس حتى أتيح لي هذا الحظ العظيم فقادني إلى حيث ينعقد أحد الرفاق ؛ وكان المجلس لحسن حظي ليلة خففت إليه حافلاً لم يغب عنه كما علمت إلا واحد أو اثنان ممن يشتركون في حلقته

وأنا رجل طالما أحسنت الظن بالأدباء حسن ظني بالكتب فيما سلف وإن كان أكثرهم ليزعمون أني متكبر أعيش في عزلة لأني ظللت حتى تلك الليلة لا أعرف أكثر هؤلاء إلا في آثارهم

جلست بين هؤلاء الشباب صامتاً أنقل بصري من وجه إلى وجه، وأتبين الأشخاص من أحاديثهم، وهم قد وضعوا أنفسهم بحكم رسالتهم في مركز وسط بين الملائكة والناس ؛ ولم تمض لحظة حتى عرفت من كلامهم أولاً أنهم جميعاً شعراء ؛ ثم تبين لي بعد ذلك أن كلا منهم يسمو في فنه على الباقين حتى ما يلحق به أحد وإن كان لا يصرح أحدهم بذلك ، وإنما يشير إلى ذلك المعنى في لباقة عجيبة

وأعجبني منهم لعمر الحق أنهم كانوا يديرون بينهم كؤوس الثناء بدل كؤوس الصهباء إن جاز في ذوقهم هذا التعبير . فهذا يثني ما وسعه الثناء على القصيدة الأخيرة لجاره ؛ وذلك يمتدح ديوان صاحبه حتى ليجعله من مفاخر العصر ومآثر الجيل، وفلان يستزيد فلاناً من طرفه ... وهكذا يتبادلون بينهم الثناء حتى لا يتركون معنى من معانيه

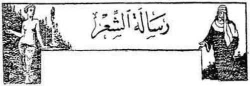
ولكنني ما لبثت على الرغم من ذلك أن تبينت في حلقتهم أحزاباً ، وساعدني على فهم ذلك ما عرفته من سالف كتاباتهم ، فهذا شخص أعرفه من قبل قد جعل لصاحب له الزعامة فيما كتبه عنه ، وأراه في المجلس يقبل عليه إقبالاً شديداً فما تبدو منه نكتة إلا انطلق وراءها مقهقهاً مستحسناً مهما بلغ من تفاهتها ، وما يبدي رأياً إلا انحاز فيه إليه مهما خالف فيه كل قياس وخرج به على كل ذوق ... وهذا شخص آخر يعلم أن بين فلان وفلان حقداً وهو يحقد على أحدهما فيما أعرف فلا يزال يمتدح الآخر بكل ألوان المديح ، وألمح أنا الامتعاض على وجه المغضوب عليه فأفطن وأبتسم وأعجب لهذا التناقض الغريب ، وهم كانوا قبل ذلك يبدون لي وقد ألف الفن بين قلوبهم وملأها بالمحبة ... ! وينتقل بهم الحديث من تبادل الثناء ثم من اللمز إلى المباهاة والمفاخرة . فهذا تنهال عليه رسائل الإعجاب حتى ليترك بعضها دون قراءة لكثرتها ؛ وذلك يتهافت على قصائده كبار الملحنين ولكنه يضن بها ضناً بالشعر عن التكسب والتبذل ؛ وثالث يقول في خجل مصطنع إنه يشار إليه في كل ناد ويتهامس الفتيان والفتيات باسمه ، ويرد عليهم من يذكر كيف يحرص على مودته أصحاب الصحف اليومية والأسبوعية على اختلاف نزعاتها ؛ ويسكت أحدهم تاركاً لصاحبه المفتون به أن يتلو عليهم من حالاته ما يعجبون معها لشذوذه المحير، ذلك الشذوذ الذي يصل به إلى الجنون، ولكنه بأي حال لا يفسر إلا بأنه شذوذ العبقرية وجنون الملهمين ، وإن كانوا ليعلمون أنه متكلف يبلغ غاية السخف في تكلفه ...

واجتمع هؤلاء الشباب على رأي واحد ، وذلك هو رأيهم فيمن سموهم شيوخ الأدب فأولئك عندهم قوم نالوا من الشهرة ما لا يستحقون ، وليس فيهم إلا من يحقد على الشباب وعبقرية الشباب وطموح الشباب ، ولذلك فهم يحاربونهم ويضعون في طريقهم العقبات ، ولكن الغلبة في النهاية لا شك للجيل الناهض ...

ويحمل هؤلاء الملهمون حملة صارمة على هذا البلد الجاحد ويألمون لحظهم فيه ، ويتساءلون: لم أطبقت الغفلة على هذا الجيل إلى مثل هذا الحد ؟ فإذا مال الحديث إلى أصل من أصول الأدب رأيت بين هؤلاء الذين يرمون الجيل بالغفلة تناقضاً وتبايناً واختلافاً شديداً حتى ليصعب على من يقرأ مثل آرائهم أن يصدق أنهم يعيشون في عصر واحد وفي بلد واحد ، وكيف يلتقي هؤلاء على ذوق أدبي والمسألة بينهم رياء وتقارض ثناء؟

وبعد أفلا يسهل علي بعد أن بلوت مبلغ صدق هؤلاء بعضهم تلقاء بعض أن أصدق ما يقال عن مبلغ صدق أكثرهم في فنهم؟ ذلك الصدق الذي ترى من آياته أن ينظم أحدهم فيما رأى من جمال الربيع وهو لم يخرج من مكتبه ، أو يصف الشروق والغروب والليل في القرية وهو لم ير مدى عمره قرية ، أو يتوجد ويتوجع ويشتكي إلى ملهمته وهي لا توجد إلا في مخيلته ! لقد أسرفنا في الهزل فمتى نجد ، وبالغنا في الاستهتار فمتى نستحي ؟

« عين »



من شكوى الزمن

للدكتور ابراهيم ناجى

يا ويلتا من عُمرى الباقي   هذا سوادٌ تحت أحداقي
هذا بياض الشيب وا عجبى   من مَغْربٍ فى زِى إشراق
ويلى على كأس معربدة   وعلى دم فى الكأس مُهراق
وعلى سراب خادع وعلى   متألق اللمحات برّاق
طاف الزمان به على نفر   مالوا بهاماتٍ وأعناق
صُرعوا وكنت تظنهم سكروا   مات الندامى أيها الساق !
يا دهر لم أشك الكلال ولا   مَلكتْ خطوب الدهر إرهاقى
عذبت أيامى بِعِفتها   وقتلتنى بصفاء أخلاق
يا كَمْ غرستُ وكم سَقَيتُ وكم   نضَّرتُ من زهر وأوراق
ما حيلتى والأرض مجدبة   سيَّانِ إقلالى وإغداقى
أين الذين رفعتُ فانحدروا   وبنيتُهم بُنيانَ خلاّق
إن الوفاء بضاعة كَسَدَتْ   ومآل صاحبها لإملاق
إفلاس أرواح ومَضْيعةٌ   لقلوبنا فى شر أسواق
إن كنتُ لم أغْنَمْ فقد ظفروا   منى بمغفرتى وإشفاق
لكننى والجرح يُلهب لى   حِسّى ويكوى كَيَّ إحراق
هيهات أنسى أنهم عبثوا   وَوَفيتُ لم أعبث بميثاق

احترق ... احترق !

للأستاذ أمجد الطرابلسى

لا تقف يا قطارْ   لا تهِن يا خَفِقْ
نخلات الدّيارْ   من وراء البحارْ
لَمَعَتْ فِى الافُقْ
ويك ! لا تحترقْ

قد بلغنا الفِناءْ   بعدَ كَدّ المسيرْ
ليس دونَ اللقاءْ   بعدَ هذا المساءْ
غيرُ بعض العصورْ ....
وبحارِ تموزْ ...
سرْ بنا سرْ بنا   فى الدّجى يا أملْ
الهوَى نايُنا   والمدَى ... غايُنا
يا هَنَا مَنْ وَصَلْ
بعدَ فَوْتِ الأَجَلْ ...

... ...

قفْ بنا يا قطارْ   واسترِحْ يا خفِقْ
بيننا والدّيارْ   غَمَرَاتُ البحارْ
وظلامُ الافُقْ
احترق ... احترق !

يومان

للأستاذ صالح جودت

اليوم الأول

(المنظر : هو وهى على الشاطىء)

هى : ما لعَيْنَيْكَ يا رهيبُ تُثيرا   نِ طيوفَ الأوهام حول أمانى؟
هو : أنا يا فتنةَ الوجود ؟
هى :   أجل أنت
هو :   وكيف اتّهَمْتِ ؟
هى :   مجنونتان !
فيهما حيرةٌ وغمرةُ شَكٍّ   ومعان ما تُرجمتْ بلسانِ
كم عَلَتْنى غِشاوةٌ عند لُقيا   ك فأنكرتُ رؤية الإنسان
لستَ كالناس!
هو :   هل أكون ملاكاً ؟
هى :   حيرتى فى الملاك والشيطان !
هو : أنتِ يا مَنْ سكبتِ خمرةَ إلحا   دى وأترعْتِنى من الإيمانِ
عند عينيكِ تنتهى أعيُنُ اللـه   فأنّى مضيتُ شارفتانى

سيهدُ جفنيهما من السرمد الخا ... لد مهما استطال لا يغفوان
غير أنى أحس سرًّا دفينا ... وهما دون غيبه مُغلقان

هي: ثم ماذا؟

هو: أهواكِ يا ربة الحُسْنِ !

هي: وماذا أعددتَ للقربان ؟

هو: كل ماشئتِ لا يعزُّ، وإن كا ... ن محالاً فإنه لكِ دانِ

هي:
قمْ بهذا الكرازِ أنضبْ لِيَ البحْرَ !

هو: وهل أستطيع ما فوق شانى ؟

هي:
خلِّ عنكَ.. قم وأنضِب من الشا ... طىء بعض المياه

هو: يختلطان

هي:
كاختلاط الشهوات بالأثرة العميـ ... ـاء فى جنة من الوجدان
واختلاط الحِجَى ببوتقة الجنـ ... ـس فتبنى من المحال الأمانى !
أوَ ما قلتَ إنه لِيَ دانٍ ؟ ... مالكَ الآن نؤتَ بالبرهان ؟

هو: لستُ ربًّا !

هي: وما أنا ؟

هو: أنتِ عندى ربةٌ فى سماوة الفنّان

هي:
كيف ترجو إذنْ هواى وما أنـ ... ـتَ بصنوٍ مكانه كمكانى ؟

هو: اِجعلينى فيا ملكتِ قطيناً ... أو هبينى مُوَكَّلاً بالجنان !

هي: هل رأيتَ الجنان ؟

هو: فى جسم أنثى ... عبقرىّ الظلال والألوان
فعلى صدرها الثمار وفى الثغـ ... ـر من الخمر سلسبيل المعانى
وعلى شعرها الذهب أشبا ... حُ قصورٍ ما شيّدتها يدانِ

اليوم الثانى

(المنظر : هو وهى خارجين من الصومعة)

هي: كنتَ فى الليل راعيًا فى الجنان

هو: ليل أمس فى ذمة النسيان

كنتِ فيه إلهة !

هي: ما أنا الساعة ؟

هو: لا شىء، أنتِ كالجثمان
أنتِ مخلوقةٌ تعيشين بالجسـ ... ـم وتُفنيك شهوة الحيوان

هي: قُبـلة !

هو: ما وراءها

هي: هِيَ معنًى

هو: هتكتْ شهوةُ الجسوم المعانى
ونضتْ سترَ ناظريكِ وذاع السـ ... ـرُّ فيما فقدتِ من أكوان

هي: أوَ أنزلتنى عن العرش لما ... ذاع سرى لديك ؟ أىّ بيان !

: ... ...
... ...
: ... ...
: ... ...
... ...

: غادرٌ أنتَ ؟

هو: نحن للفن نحيا ... ونراكم له من القربان
فنُضحّى بكم على مذبح الفكر ... ليُهدَى بالفكر جيلٌ ثان

صالح جودت

الأدب في أسبوع

العودة

إن بعض الحوادث في حياة الرجل لتنزل منزلة الآية المحكمة: تنسخ ما كان قبلها، ثم يأتي بعضها كالقنبلة: تخسف الأرض أمامه فلا يرى إلاّ هوةً وغبارها، فإذا تلاحقا لم يدر المرء ما يستدبرُ من أمره ولا ما يستقبل، وإنما هو الحيرة والضلال والرُّعبُ، والتردّي كلما أقدم أو أحجم ... بَلَى، إن علينا أن نصارع الحياة بالقوة، وأن نداورها بالحيلة، حتى نخلص إلى الأرض المطمئنة، ولكن هل يستطيع أحدنا بعد ذلك أن يصل إلى هذه الأرض ؟ ! لولا أن اليأس هو باب الموت، لكان هو — في الحقيقة — إحدى الراحتين ...

كتب

ولنعُدْ ... أصدرت المطابع المصرية في الأسابيع الماضية طائفة كثيرة من الكتب العربية، بعضها لأصحابنا من المعاصرين، وبعضها مما أنقذه المعاصرون من المكتبة العربية المدفونة في خزائن الكتب، فنحن نختار من هذه الكتب ثلاثة يجرى الحديث فيها مجرًى واحدًا في الغرض الذي نرمي إليه، وهي كتاب: « التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية » وهو دراسات لكبار المستشرقين مثل: بكر، وجولد تسيهر، ونلينو، ومايرهوف. ترجمها إلى العربية الأستاذ عبد الرحمن بدوي؛ وكتاب « الرسالة » لإمام المذهب محمد بن إدريس الشافعي. نشره العالم المحدّث الثقة الشيخ أحمد محمد شاكر، وكتاب « الذخيرة » لأبي الحسن علي بن بسام، نشرته كلية الآداب مستعينة بمراجعة الأساتذة محمد عبده عزام، وخليل عساكر، وبخاطره الشافعي؛ وأشرف على عملهم أساتذة الجامعة: أحمد أمين، ومصطفى عبد الرازق، وعبد الحميد العبادي، وعبد الوهاب عزام، وطه حسين

وهذه الكتب الثلاثة لا يجمعُها بابٌ واحدٌ من حيث موضوعها، فالأول آراء للمستشرقين في فروع من الحضارة العربية والآراء الإسلامية، ورسالة الشافعي هي أصل علم « أصول الشريعة ». والثالث في تاريخ الأندلس، وشعرائها، وبلغائها، وكتابها. فالذي حملنا على جمعها في باب واحد من كلامنا هو الرأي في المستشرقين، وما يجب علينا أن نتابعهم عليه، وما ينبغي لنا أن نحذره منهم

المستشرقون

فقد قرأت مقدمة كتاب « التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية » — كتبها الأستاذ « بدوي » بحرارة الشباب التي تتضرم في دمه، وجمل يتهدّمُ فيها على التّراث العربيّ بآراء كالمعاول: تضربُ في الجذع بعد الجذع على غير هُدًى ولا كتابٍ منير. فلما توغلت في الكتاب رأيت أن آراء المستشرقين — الذين ترجم لهم كلامهم — هي التي وضعتْ في يديه هذه الفأسَ ليعمل بها؛ ونحن لا نرى أن مثل ذلك مما يُضر بالتراث الإسلامي بشيء، ولكننا نرى أنه يُضرُّ بأصحابه والعاملين عليه أولّ، لأنه يأكل قواهم في شيء لا يمكن أن ينال منه شيئًا «ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا». والمُشْكلة كلُّها هي فتنةُ أكثر الناس بأسماء المستشرقين، وأن ما يكتبون في التاريخ الإسلامي والعربي ينزل من قلوب كثير من شبان الجامعة وغيرهم منزلة الكلام القدُسي: تحريف معانيه إبطال لقوة « الاستشراق » التي فتنتهم. ونحن — حين قرأنا بعض آرائهم التي ترجمها الأستاذ « بدوى » — وجدناها عملاً صالح المذهب من ناحية مَدْرَجِه، وأما من ناحية التحقيق العلمي، والغاية التي يرمي إليها، فهو عمل غير صالح. فكان هذا الذي عرفناه هو الذي دفعنا أن نخصص هذه الكلمة للكتب الثلاثة المذكورة آنفًا، ولمذاهب المستشرقين في تناول الكتب العربية القديمة بالتحقيق لنشرها، ثم مذاهبهم خاصة فيما يعالجون من تاريخ الفكر الإسلامي أو الحضارة الإسلامية. وليس غرضنا هنا أن نعرض لنقد شيء بعينه من آرائهم، وإنما نريد أن نثبت لهم حقهم الذي وجب لهم بما بذلوه من جُهْدٍ، ونحذر شبّاننا من الافتتان بباطل من باطلهم

وينقسم أمر المستشرقين كما ترى إلى عملين: أحدهما عملهم في الكتب العربية القديمة التي نشروها من بدء توجههم إلى هذا

الغرض ، والآخر ما كتبوه من دراساتهم في الآثار العربية ، وما أرّخوه من تاريخ الإسلام ، وتاريخ آرائه ومذاهبه العلمية والفلسفية .

نشر الكتب العربية

فالمستشرقون حين بدأوا فنشروا الكتب العربية القديمة لم يقصّروا في بذل المال والوقت لاستجلاب الأصول التي يطبعون عنها هذه الكتب ، ثم يتفرغ أحدهم لمقارنة الأصول بعضها ببعض ، وإثبات الاختلاف بين النسخ الكثيرة التي تقع لهم ، وتحرير ذلك بالحرف والنقط والشكل على ما هو عليه في أصل من الأصول ، وأمانتهم في إبقاء المحرّف على تحريفه والخطأ على صورته ... إلى غير ذلك من الدقة والأمانة في إعطاء القارئ صورة كاملة في نسخة واحدة من الكتاب المطبوع - لعدة نسخ مختلفة متباينة من الأصول المخطوطة . حتى إنهم ليثبتون في « الهامش أو الاستدراك » ما هو خطأ بيّن لا يصح على وجه من الوجوه ، وإنما هو جهل ناسخ وإفساد كاتب ، ثم لا يمطونك رأياً يرجّحون به لفظاً على لفظ ... وحتى إنهم ليثبتون الخطأ الصرف في صلب الكتاب ويكون صوابه في الاستدراك ، وحجتهم في ذلك أنهم يعتمدون أقدم النسخ عندهم ، يطبعونها كما هي ، وأما اختلاف سائر النسخ فهو من حق المستدرك وإن كان هو الصواب الذي لا صواب غيره

وهذا - على علاته - عمل جيد وأمانة صحيحة . ثم جاءتنا هذه المطبوعات في بلادنا على فترة جهل وإهمال ، وعلى زمن كلُّ أصحاب المال الذين ينشرون الكتب فيه ، إنما هم عامة لا يعنيهم إلا الربح من طبع الكتب حروفاً قد جُمع بعضها إلى بعض على غير نظام ولا تحرير ولا فن ؛ فلما قارن بعضنا هذا بهذا ونحن عرب وهم أعاجم لا يعنيهم من عربيتنا ما يجب أن يعنينا - انبثق بثق الفتنة ، ومجد الناس همة هؤلاء المستشرقين الأعاجم - وحقّ لهم - وجعل جماعة ممن لُبِّس عليهم يدفعون القول بعد القول في تعظيمهم والمغالاة فيهم بغير الحق ... ثم مضى ذلك وانسحب التبجيل على آرائهم في الفكر الإسلامي والتاريخ العربي كما انسحب على أعمالهم في نشر الكتب ... وأين هذا من ذاك ؟

ثم انبثق بثقٌ آخر ، فظن بعضُ المغالين أنّ المذهب الذي سلكه المستشرقون في التصحيح ، هو المذهبُ لا مذهبَ غيره ، وجعلوا يَنْعَوْنَ على مَنْ يخالفهم من أصحاب اللسان العربي في طريقة نشر الكتب العربية . ومع ذلك فهم على الحق في بعض ما يقولون ، ولكنه ليس كل الحقّ ؛ فإن المستشرقين لم يذهبوا هذا المذهب ، ولم يقفوا هذا الموقف من اختلاف النُّسخ ، إلا لعجزهم عن ترجيح بعض الكلام العربيّ على بعض ، وذلك لعلل بيّنة : أولها جهلهم بالعربية على التمام ، فإن تمامَ العربية هو السليقة التي لا تكتسب ، كما أن تمام الإنجليزية والفرنسية هو السليقةُ والنشأة والاندماج في الوسط الإنجليزي أو الفرنسي من بدء المولد والحضانة ؛ والثاني أنه قلّما يوجد فيهم المتخصص في فقه علم بعينه حتى يكونَ حجّة فيه ، اللّهمَّ إلّا أن تكونَ الحجة - عندهم - في جمع نصوص كثيرة في موضوع واحد من كتب شتى ، ولكنهم لا يدّعون أبداً أنهم أصحاب رأي في البيان والتأويل والترجيح

رسالة الشافعي

ويجب أن نضرب المثل هنا « برسالة الشافعي » التي طبعها العالم الجليل الشيخ أحمد محمد شاكر ، فهو طبعها عن أصول مخطوطة ومطبوعة ، وأقدمها نسخة منها بخط الربيع بن سليمان تلميذ الشافعي وراوي كتبه ؛ فالأستاذ الشيخ شاكر حجة في علم الحديث النبوي ، وفقيه متقِن للسنة التي هي أصل من أصول الدين ، فلما تناولَ « الرسالة » بعدَها للطابع لم يتركْ شاردة ولا هائمةً من اللفظ إلا ردّها إلى مكانها من عربيـة الشافعي وأصوله التي في كتبه ، وأثبت الاختلاف ورجح بعضه على بعض ، وعمل في ذلك عمل العقل المفكّر بعد أن ضبط كل اختلاف رآه إلى غير ذلك من أبواب التحرير والضبط . فإذا أنت قرأت الأصل دون التعليق رأيته قد سلم من كل عيب ، وصار بياناً كله ، بعد أن كان في الطبعة الأولى من « الرسالة » شيئاً متخالفاً يتوقف عليه البصير ، فما ظنك بسائر الناس ممن يقرأ وليس له في هـذا العلم قديم معرفة أو مشاركة ؟ وأنت إذا قارنت هذه الرسالة بأي كتاب من الكتب التي أتقنها أصحابُها من ثقات المستشرقينَ ، وجدت الفرق الواضح ، وعرفت فضل العربي على الأعجمي في نشر الكتب العربية ، إذا هو حمل أصولها على أصول الفقه والدراية والتثبت ، ولم تخدعه فتنة برأي لعله غيره أقوم منه وأجود

وأنا أذكر بهذه المناسبة أن الأستاذ قد أرسل إليّ في (إبريل سنة ١٩٣٢) يسألني عن كلمة وردت في حديث من مسند أحمد ابن حنبل، ولم أكن قرأتها قبل ذلك، فكتبت إلى الرافعي رحمه الله أسأله عنها وعرضت له ما رأيت من رأي، فخالفني الرافعي، ثم لم تمض أيام حتى وجدت في الطبري ما يوافق بعض رأيي أو يدل عليه، ورأي الرافعي أيضاً. ثم لم ألبث أن وجدت نصاً بعينه على الذي رأيت، وهذه الكلمة هي في الحديث ... «رجل قد جرد نفسه، قد (أطّنها) على أنه مقتول»، فرأيت أن قراءتها: «أطّنها» والهمزة فيها منقلبة عن الواو فهي «وطنها» وكذلك وردت في الطبري، ولكن أصحاب كتب اللغة لم يثبتوا ذلك في كتبهم كما أثبتوا «وكدّ وأكّد، ووثل وأثل» إلى غير ذلك. فأنت ترى أن الطبع والسليقة ربما هدت إلى ما لا يقع إلا بعض طول التنقيب والبحث والتجميع

الذخيرة

وهذا أيضاً كتاب «الذخيرة» فإن الجهد الذي بذل في تصحيحه وضبطه على الأصول المخطوطة التي طبع عنها وبيان اختلاف النسخ، قد أوفى على الغاية، وقلّ من المستشرقين من يستطيع أن ينفذ إلى إجادة مثله في التحري، ومع ذلك فقد وقع فيه بعض ما كان يمكن تجنبه، لولا أن الأساتذة المصححين قد تهاونوا في تحطيم أساوب المستشرقين الأعاجم، في التوقف الذي لا معنى له عند العربي، ونضيف إلى هذا علة أخرى، هي أنهم ليسوا ممن تخصص لشيء بعينه من تاريخ الأندلس وأدبه، فكذلك بقي بعض الخطأ كما هو، وأثبت على ذلك وليس له أي معنى. وترْك مثل ذلك للقارئ مما لا يصح ولا يستحسن، ولنضرب لذلك مثلاً أو مثلين: ففي ص ٨٣ «... دبّروا جميعاً عليه فقتلوه ليلاً ...» وفي نسخة أخرى «بدروا»؛ وكلا الحرفين لا معنى له في الجملة، والصواب عندي أن يكون «انْدَرَأوا عليه ...» أي هجموا عليه واندفعوا، ومن قرأ النص عرف أن هذا هو حق السياق، وكذلك في ص ١١٠ «وفارس ميدان البيان، وذات صدر الزمان» وفي نسخة «وأذات» وكلاهما ليس له معنى، وهو محرف عن «ودُرّة» أو أي شيء يكون حلياً للصدر ... ونحن لا نتتبع وإنما نقلب بعض أوراقه الآن على غير ترتيب، ومع ذلك فهو أجود بكثير من أغلب كتب المستشرقين هذا ... وليس كل المستشرقين ممن يصح الاعتماد عليهم في كل شيء، فقد طبعوا كثيراً من الكتب ...، وأقل كتاب وأردأه مما يطبع في مصر هو خير من مثل هذه الكتب. فلو أخذت مثلاً «كتاب الزُّهرة» لابن داود الظاهري، الذي طبعه الأستاذ «لويس نيكل» بمساعدة الأخ «ابراهيم طوقان[1]»، لوجدت أكثره خطأً، بعد الذي بذله الأستاذ طوقان في الاستدراك عليه ... ولو شئنا أن نضرب المثال بعد المثال على ذلك لضاق المكان عن إتمام ذلك

مباحثهم

أما مباحث المستشرقين فهذه هي موضوع الإشكال كله، والمستشرقون - كما لا يشك أحد - ثلاث فئات: فئة المتعصبين الذين تعلموا العربية في الكنائس لخدمة التبشير، وهم الأصل، لأن الاستشراق في أوله كان قد نشأ هنالك بين رجال الدين ...؛ وفئة المستشرقين الذين يخدمون السياسة الاستعمارية في الشرق العربي، وفئة العلماء الذين يظن أنهم تجرّدوا من الغرضين جميعاً ... فأما الفئة الأولى والثانية فما نظن أكثر أقوالهم في المباحث الإسلامية إلا جانحاً إلى غرض أو مركوساً بقوله إليه، وهم أكثرية المستشرقين، ولا نظن أن كلام هؤلاء مما يمكن أن يعتمده أحدٌ إلا أن يكون مفتوناً جاهلاً. وأما الفئة الثالثة، فهي أيضاً موضع الإشكال؛ فمن غير الممكن فيما نظن أن يتجرد هؤلاء عن الغرض الخفي الذي يدب من وراء الكلام؛ هذا على أنهم كما قدمنا ليسوا أصحاب سليقةٍ في فهم النصوص العربية على التحري لموضوعها، وتمام الفقه لمانيها التي يتعاطونها؛ وإذن فمن واجب قارئ كلامهم أن يقف عند آرائهم موقف الناقد الذي لا يقبل إلا ما تقبله الطبيعة الفطرية للغة في المعاني التي يستخرجونها من الكلام. ومع ذلك أيضاً فمن عيوب هذه الفئة أنهم ربما استخرجوا قولاً ضعيفاً فاسداً ليس بشيء في تاريخ الإسلام والعربية، ثم يكتبون وقد اتخذوا هذا القول أصلاً ثم يجرون عليه سائر الأقوال ويؤولونها إليه، ثم يحشدون لذلك شبهاً كثيرة مما يقع في تاريخ مهمل

(١) ترجم الأستاذ بدوي هذا الاسم لجهله «توفان»!! س ١٠ من كتابه.



تأملات في الفن :

نبئيني غداً بما تسمعين

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

— لست أدري لماذا تحب أن تسمع موريس شفالييه وهو يغني بالإنجليزية، مع أنه إذا غنى بالفرنسية كان أبدع

— من غير شك يكون أبدع، ولكني أسمعه يغني بالإنجليزية لكي أضحك لا لكي أطرب؛ فهو ينطق الإنجليزية بلكنة فرنسية فتزيد هذا الشذوذ تهريجه حلاوة وخفة

— وهل موريس شفالييه مهرج ؟

— وأي شيء هو غير هذا ؟ إنما هو مستساغ ومحبوب لأن تهريجه في طبعه، فلو لم يكن شفالييه مهرجاً محترفاً يربح من تهريجه المال الوفير، لكان مهرجاً في أي عمل يعمله وأينما كان وكيفما كان

— ليت عندنا مهرجين مثله

— وهل عندنا غيرهم . . . ولكن الذين عندنا لا يحترفون التهريج ويدعون الوقار ويصطنعون الجد والتعالي عن سفاسف الأمور

— مثل من ؟

— دعينا من هذا، فأهلنا هنا في مصر يوجعهم الحق. عودي بنا إلى موريس شفالييه واذكرى له حسنة أخرى إلى ما ذكرناه من حسنة التهريج الصريح

— خفة روحه

— إنها مع تهريجه وفي خلاله، بل إنه منها وبها . ونحن نريد له حسنة أخرى لا صلة لها بالتهريج ...

— مثل ماذا ؟

— مثل لكنته هذه . أليست تدل على شيء طيب في نفسه ؟ أليست تشهد بأن موريس شفالييه قوي الشخصية، ومن قوى شخصيته هذه القوة الفرنسية التي لم تخذلها رغبته في الربح وطمعه في الدولار الأمريكاني الرنة الإنجليزي اللغة ... إني أرى في شفالييه هذه الحسنة

— ولكني أرى هذه سيئة لا حسنة . فالمثل هو الطيع النفس الذي يستطيع أن يتشكل بسهولة لا الجامد النفس الذي يستعصي عليه التلون

لم يمحص كالتاريخ الإسلامي، وكذلك يلبسون على من لا يعلم تلبيساً محكماً لأنه حشد وجمع، وتغرير بالجمع والاستقصاء الذي يزعمون. وسنتناول ذلك بعد قليل بعرض بعض الآراء التي ترجمها لنا الأستاذ بدوي في كتابه لنحقق كل ذلك إلى نهايته، حرصاً على أن نحصر الفساد في أضيق محيط

العقاد

وأنا لا أحب أن أختم هذا الحديث بغير مثل أيضاً . فهذا الأستاذ « العقاد »، وكلنا يعلم أنه قلما كان يتناول الأغراض الإسلامية بالتحرير والبحث، ولكنه منذ العدد الهجري للرسالة كتب مقالة عن عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم العسكرية، ثم عن عبقريته السياسية، فاستوفى القول في ذلك وأشبعه، ورد كثيراً من الشبه التي كان يلبس بها الأعاجم على الأغرار من شبابنا: وليس يستطيع مستشرق أن ينفذ في فهم التاريخ العربي، والاجتماع الإسلامي، والفلسفة الإسلامية، كما يستطيع كاتب قارئ مطلع كالأستاذ العقاد . ثم هو فوق ذلك أديب عربي يستطيع أن يحمل فطرته العربية الأدبية عوناً له على التغلغل في أسرار تاريخية مطموسة، لا يطيقها المستشرق لفقدانه مثل هذه الفطرة؛ ثم لأن البيئة العلمية والاجتماعية التي نشأ فيها وتثقف على أساسها لا تطاوعه أو تلين معه، حتى يكون في نظره إلى التاريخ العربي أو الفلسفة الإسلامية، خرّاجاً ولّاجاً على طبيعة العرب وطريقتهم في تداول معاني حياتهم، وحياة أفكارهم وفلسفتهم . ونحن نرجو ألا يخلي الأستاذ العقاد مباحثه من هذا النوع الجديد من الفكر في تاريخ تنقذف عليه كل يوم جهالات كثيرة مفسدة ليس لها أصل ولا بها قوة

محمود محمد شاكر

— هذا حق . وإني أعتقد أن موريس شفالييه إذا مَثَّلَ شخصية إنجليزية معينة فإنه سيكون في تمثيله هذا أقرب إلى سلامة « التجنلز » منه وهو يمثل شخصيات غير محدودة لا ينطق الإنجليزية بلسانها بضرورة فنية ، وإنما لضرورة تجارية ألزمته إياها شركات السينما الأمريكية ... ولو لم تكن الأدوار التي يخرجها موريس شفالييه كلها تهريج ومرح ومجون وفكاهة لا تجب معها المؤاخذة على سلامة كيانها لقضى لفشل موريس شفالييه ولعاد إلى التمثيل بلغته الفرنسية كما عاد إميل جاننجز إلى التمثيل بلغته الألمانية على ما تكبد في ذلك من خسارة مادية هائلة ، إذ كانت أمريكا تعتبره ممثل الدنيا الأول

— أو إلى هذا الحد يصعب على الإنسان أن يمثل بلغة غير لغته؟

— إذا كانت لغته متغلغلة في نفسه قابضة على زمام روحه

— وكيف يكون هذا وكيف لا يكون ؟

— اللغة هي لسان فريق من الناس يقال لهم شعب، لأنهم تشعبوا من أصل البشرية إلى اتجاه إنساني خاص يستدعي سلوكه مميزات نفسية خاصة . وهذه المميزات يظهر بعضها في التفكير ، ويظهر بعضها في الذوق ، ويظهر بعضها في الأفعال والحركات ، ويظهر بعضها في اللغة وفي طريقة إلقاء هذه اللغة . وكلما تأصلت هذه المميزات في نفوس الشعب وضحت آثارها في المظاهر التي ذكرناها ، وليس هذا الوضوح إلا دليلاً على تمكن هذه المظاهر من تلك النفوس ، وشدة ارتباطها بها ، فإذا أكرم شعب من الشعوب أفراده تأصلت في أفراده مظاهره حتى لتكون هي الطابع الذي يطبعهم ، وإنهم لينمون هذا مدفوعين إليه بالذي يشعرون به من الاعتزاز بانتسابهم إلى أنفسهم ، وهم لا يشعرون بهذا إلا إذا كانوا على خير ، وإذا كانوا بهذا الخير راضين . وليس هناك شك في أن موريس شفالييه يعتز بانتسابه إلى فرنسا ، كما أنه ليس هناك شك في أن إميل جاننجز يعتز بانتسابه إلى ألمانيا ، كما أنه ليس هناك شك في أن شارلي شابلن يعتز بانتسابه إلى العبرية ، أما موريس فإنه رأى الناس لا يطلبون منه إلا أن يضحكهم وأن يمازحهم ، فلم يعبأ بأي لسان يتحدث إليهم ويغنيهم ، فهو ينطق أحياناً بالفرنسية وأحياناً بالإنجليزية ، ولو كفل له استعداده سد حاجته من المال لمثل بالعربية ولم يجد مانعاً من ذلك ما دام غرضه وغرض الناس منه هو العبث ، وأما شارلي شابلن فإنه يمثل من غير أن يتكلم لأنه لا يهرج ، وإن كان يضحك الناس على أنفسهم ، ولأنه يريد أن يحسه الناس جميعاً مجرداً من كل بلبلة مما فرق البشرية وشَتَّتَها ، وقد كان شارلي يستطيع أن يمثل بالانجليزية وهو مولود عليها ، ولكنه يشعر بالحق فيما بينه وبين نفسه أنها لغة طارئة على تكوينه غريبة على نفسه ذات المميزات العبرية الشرقية التي أنعم الله بها على بني إسرائيل ، وهذا الشعور مع رغبته في الشيوع مع النفوس المختلفة هما اللذان يلزمانه التمثيل الصامت وإلا فقد كان يمثل بالإنجليزية وهي لغة جمهور السينما

— أو بالعبرية وهي لغته

— ولكن أهلها قليلون جداً وحرام أن يخصهم شارلي وحدهم بفنه مثلما خص إميل جاننجز أهله الألمان وحدهم بفنه بينما كان الواجب الإنساني عليه أن يظل في أمريكا يمثل صامتاً مثلما يفعل شارلي ، وقد كان ينجح كل النجاح ويوفق كل التوفيق فهو في الممثلين آية . أذكر أني رأيته مرة في فيلم يبكي بضلوع ظهره بكاء أبكاني وأبكى كثيرين مني ، وليس كل ممثل بقادر على هذا

— فما الذي منعه ؟

— لست أدري ، وإن كنت أظن أن إميل لو كان صاحب ثروة مدخرة لبقي في أمريكا وفعل الذي يفعله شارلي ولما اضطره الفقر إلى أن يقف موقف الاختيار بين ما يريده الأمريكان من التمثيل الناطق ، وما يريده الألمان من النطق بالألمانية وحدها

— إذن فلو كان إميل غنياً لكان قد تخلص من ألمانيته ، فالألمانية إذن ليست متغلغلة فيه كما تدعي ، وما دام الأمر كذلك فقد كان يمكنه أن يظل في أمريكا وأن يمثل بالإنجليزية

— لا . إن الألمانية متغلغلة فيه، فلا أحد ينكر أن الألمان من الشعوب الذين يعتزون بأنفسهم ، بل الذين يصل بهم اعتزازهم بأنفسهم إلى أن يصبح صلفاً وتكبراً مذمومين ، وكل الذي كان يستطيعه إميل مع هذه الألمانية المتمكنة فيه من ألوان الكفاح هو سترها بالصمت ، ولكنه لم يكن ليقوى على أن يسترها إذا نطق فبأي لسان نطق ظهرت ألمانيته ، وظهر فيها صلفه وكبرياؤه وغروره ، والصلف والكبرياء والغرور من الصفات التي يراها البشر عامة شذوذاً وانحرافاً عن الفطرة الإنسانية السهلة السمحاء وليس يقبل فريق من الناس أن يكون الإنسان ذا صلف وكبرياء

وغرور إلا الألمان ، لأنهم كلهم هكذا أصحاب صلف وكبرياء وغرور، فمجتمعهم مملوء بهذه الصفات حتى إنهم لم يعودوا يرون فيها غرابة ولا شذوذاً ولا عيباً ، وقد يقبل الناس من غير الألمان أن يروا إميل جاننجز فى دور تمثيلى فيه صلف وغرور وكبرياء، ولكنهم لن يقبلوه فى هذا الدور بهذه الصفات إلا إذا كانت هذه الصفات مما يستدعيه الدور، كأن يكون دور قائد من المحاربين المغامرين المفتونين ، أو حاكم من الحكام المستبدين المغرورين ، أما إذا لم يستدع هذا الدور هذه الصفات وظهرت هذه الصفات فى لهجة إميل جاننجز وإلقائه للانجليزية أو الفرنسية فإن الناس سيضحكون عليه من غير شك لأنها صفات غريبة على الدور خارجة عن طبيعته ... أولا تضحكين أنت من التكبر المغرور إذا لم يكن له جاه يبرر — ولو للعرف — كبرياءه وغروره ؟ ... لهذا عجز إميل جاننجز عن التمثيل بالإنجليزية

— وهؤلاء الممثلون جميعاً الذين يمثلون فى هوليوود باللغة الإنجليزية وهم من شعوب مختلفة ولهم ألسنة مختلفة ، ألا يراعون هذا الذى يراعيه إميل جاننجز وشارلى شابلن وموريس شفاليه ؟

— أما شفاليه ، فهو لا يراعى شيئاً كما قلت لك ، واللذان يراعيان هما شارلى شابلن وإميل جاننجز ، فهما من عشاق الكمال الفنى ، وقد تركزت فى كل منهما خصائص قومه ، فهو فى فنه يمثل شعبه فى حياته ، فهذا شارلى ضاقت العبرية به ، فصمت وانتشر بصمته فى الأرض ، كما ضاقت الأرض المقدسة عن بنى إسرائيل ، فصمتوا عنها وانتشروا فى الأرض ، وهذا إميل جاننجز ضاقت به الألمانية ، فتشبث بها وانحصر فى حدود بلاده يجتر كبرياءه وصلفه وغروره كما ضاقت ألمانيا نفسها بأبنائها فلم يصمتوا عن صلفهم وكبريائهم وغرورهم ، وإنما انحصروا فى أرضهم يأكلون صراخاً وزعيقاً وصخباً وجلبة . ولو كانوا على شىء من الحكمة ، لنزلوا عن شىء من صفاتهم هذه ، ولكانوا كالإنجليز معتدين بأنفسهم ولا غرور ، أو كانوا كالمسلمين معتمدين على الله ساعين فى أرضه الواسعة بالحق والسلام والصبر فى البأساء ويوم البأس ... كم أريد أن أسمع صوتاً مسلماً : فى حديث أو غناء أو ترتيل أو تمثيل لحال أو موعظة تلقى ... ولكن أين نحن من هذا ... إنه لن يكون إلا إذا أسلم كاتب من الكتاب ، فاهتدى إلى موضوع مسلم ، فكتبه ، فعهد به إلى مخرج مسلم ، فسلمه إلى ممثلين مسلمين وملحنين مسلمين ومغنين مسلمين ، فمنذئذ فقط نسمع الصوت المسلم ...

— وهذه الأصوات التى تسمعها ؟ ألا يشبعك منها ولا صوت جورج أبيض ؟ ...

— فيه رنة لذيذة كرنة الذهب ، ولكن فيه أيضاً عجمة غريبة تشربها فى فرنسا حيث تعلم التمثيل ، وإنه فى هذا يشبه الدكتور طه حسين بك فى إلقائه ، فهو ينطق الحروف العربية سليمة مسلّمة نقية مجودة ، ولكنه إلى هذا يموج صوته فى إلقائه تمويجاً فرنسياً فيه التلطف ، وفيه القصد إلى التأثير ، وفيه التأنق فى الاسترسال والتأنق فى الوقف ، وهذا شأن مستشرق فرنسى تعلم العربية فأجادها ، وليس شأن عربى يتكلم . والدكتور طه معذور فى هذا فقد تعلم فى مصر ولكنه تربى فى فرنسا وقد اختار أن يتفرنس ثم يستشرق لأنه رأى المستشرقين الفرنسيين أرقى علماً وأخصب حالاً من المصريين ومن العرب ، وأنا مؤمن بأن الدكتور طه لو كان قد احتك بمثل إنسانى حى أعلى منه ومحبب لديه من المسلمين أو المصريين أو العرب لكان قد مكن لغته العربية من نفسه على مثال تمكنها من نفس ذلك المثل الذى لم يره فلم يجد بداً من أن يبحث عنه بين المستشرقين ، كما تعلم الأستاذ جورج أبيض التمثيل على يد أستاذ فرنسى فطوّع له نفسه حتى ترجمت إلى نفس فرنسية تلقى العربية برنة فرنسية هى صدى لأسلوب الإحساس الفرنسى الذى دربه عليه أستاذه ...

— وهل للاحساس أساليب ؟

— من غير شك . تصيب المسلم المصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ويقبل على الحياة مجاهداً وهو يقول: لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ، والمؤمنون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وتصيب الكافر المصيبة فيهلع لها ويتخبط من جزعه فى أرجائها فلا يخرج منها — إن خرج — إلا منهوكا زادته المحنة كفراً وبعداً عن الله واستغلاقاً على نفسه، له أسلوبه فى الحس وللمسلم أسلوبه، وأسلوب الكافر ظاهر فى لهجته وكلامه، فهو مضطرب حائر يلفظ الكلمة يكاد يخفيها أو يأكلها خشية أن تفضح ما فى نفسه ، فإذا أفصح انفضح اضطرابه وهلعه وجزعه ، وأسلوب المسلم ظاهر فى لهجته وكلامه، فهو مطمئن هادئ مستبشر واثق من رحمة ربه ... ولكل شعب من الشعوب أسلوب فى الحس ويختار من الإحساس يحبه



تضارب في الرأي
يؤدي إلى كشف خطير

للدكتور محمد محمود غالى

الفكرة الموجية والفكرة الحدثية — لماذا تذهب العلماء بالفكرة الحدثية أو الموجية — ظاهرة التداخل الضوئى والاستقطاب

فيم كان التضارب ؟ وفى أى المناحى ظهرت أزمة علمية ؟ لقد كان فى أهم مرحلة من المراحل العلمية التى تتصل بفهمنا للكون ورؤيتنا له ، وللقارئ بيان ذلك

حاولنا أن نُرجع الكون فى مجموعه إلى ظواهر أربع : الكهرباء والمادة والإشعاع والطاقة . وحاولنا أن نُرجع كل هذه الظواهر إلى ست وحدات أصلية ، وذكرنا أن ظاهرة الإشعاع ترجع إلى ذرة ضوئية يسمونها الفوتون ، والواقع أن ظاهرة الإشعاع تتكون من الفوتون ومن موجة مستصحبة له ، وذكرنا أن هذه الذرة الضوئية تسافر بسرعة عظيمة تبلغ حوالى ثلاثمائة ألف كيلو متر فى الثانية . ولا نتوسع اليوم مع القارئ فى شرح الطرق التجريبية المختلفة التى توصل بها العلماء لقياس سرعة الفوتون الذى لا يمكن أن نعثر عليه إلا وهو فى حالة حركة سريعة بالنسبة للمادة ، ولكنا نستعرض مناحى التفكير فى فهم الظاهرة الضوئية ، والوسط الذى ينتقل فيه الضوء ، والكيفية التى تصور بها الباحثون هذا الوسط الذى يتصل فى أساسه بالكون وبالوجود والحالة التى اضطر لها العلماء فى تعديل تصورهم والاتجاهات العلمية التى تناولت هذا التعديل ، وبهذا نستعرض موضوعاً تضاربت فيه الآراء ، وأزمة كانت من أشد الأزمات العلمية ؛ أزمة لم تنته إلا بتطور على جديد ، عَدَّل تصوراتنا عن الكون وهذَّب طريقتنا لمعرفته

* * *

ولا عجب فى ظاهرة ترجع فى تكوينها وفى معرفتنا لها إلى ظروف معقدة يجمل بنا أن نذكرها ، فالضوء الذى ترسله إلينا الشمس مثلاً أو المصباح يصل لنا فى الحيز من أجسام مادية ، لا نعرف على وجه التدقيق ما حدث فيها من عمليات يصل أثرها إلى حاسة من أهم حواسنا هى البصر نعرف به صور الأشياء بالمظهر ذاته الذى يراه كل من وهب هذه العيون

كذلك عند ما يتلقن الطفل أن هذا اللون هو اللون الأحمر وذاك هو الأخضر ، فإنه بعد المران يعرف دائماً الأحمر من الأخضر ، ولا يحدث خلاف بين بنى الإنسان فى تمييز لون معين من بين الألوان ، فثمة اتفاق عام على أن هذا أحمر وذاك أخضر ، تلك مسألة نقررها بتجاربنا اليومية ، ولكنها تجارب بدائية تقف فى حد ذاتها عن الكشف عن طبيعة الظاهرة التى تجعلنا جميعاً نتفق فى هذا التمييز

وقد يكون غريباً على القارئ أن نقول له إن الضوء عملية موجية ، وإن اللون يترجم عدداً من الذبذبات فى الزمن ، وإنه إنما يميز الأحمر من الأخضر ، لأن ثمة عددا من الذبذبات فى الثانية أثرت على العين ليرى اللون الأحمر . وثمة عدد آخر من الذبذبات يختلف عن العدد الأول وصل إلى العين ليرى اللون الأخضر ،

ويغذيه من نفسه وينميه فيها فيظهر فى لهجته وكلامه . فالألمان يعتقدون أنهم أقوى ما فى الدنيا ولذلك فإنهم يقبلون على الدنيا بهذا الإحساس يتحدون كل قواها مقعقعين بلغتهم وكلامهم كأنهم المدافع ، والفرنسيون يعتقدون أنهم أجمل ما فى الدنيا وأشد ما فيها عصفاً وهم لهذا يقبلون على الحياة مدللين متأنقين متلطفين مغرين الناس بأنفسهم قد أرهفوا انتباههم إلى مسة تخدشهم فما تخدشهم حتى يثوروا فما يسترضون حتى يرضوا ... طبيعة الجميل المدلل الأنيق المتلطف ؛ وكل هذا باد فى لغتهم ومطاتها الرشيقة ووقفاتهم الأنيقة كما يبدو فى عواصف إلقائهم وزوابعه إذا هم غضبوا ... وأهل لبنان فى إلقائهم للعربية بداوتهم الباقية وعنجهيتها الفخور ... وأهل المغرب فى سرعة إلقائهم ومضغ الحروف و « كركبة » الألفاظ بعضها فوق بعض لا يزالون فى الهلع الذى أصابهم منذ أزيحوا عن الأندلس بما كانوا يلهون فيها ...

— وأهل مصر ؟

— تسمعيهم أنت ... وتنبئينى غداً بما تسمعين

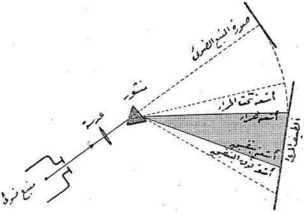
عزيز أحمد فهمى

١٤٠٣٥

ذلك أن القارئ لا يرى هذه الذبذبات، وليس فى تجاربه اليومية ما يؤيدها ، ولكنا نطالبه أن يتبعنا قليلاً ليرى معنا ماذا تكنه هذه الظاهرة العجيبة التى عرف عندها الأشياء بصورها واستوعب الألوان بمحاسنها

***

أول معارفنا عن الضوء ترجع لملاحظة الظواهر المادية التى تتصل بما يسمونه الضوء الهندسى Optique Geomertrique الذى يبين مسيرات الأشعة الضوئية . كنا نعرف أن الضوء يسير فى خط مستقيم ما دامت المادة التى يسير فيها لا تتغير، ونعرف أن الأشعة تنكسر عند انتقالها من مادة إلى أخرى ، وما السراب إلا ظاهرة حادثة من انكسار الضوء فى الهواء الذى يتكون منه فى الواقع طبقات تختلف كثافتها لاختلاف درجة حرارتها وقد عرف نيوتن ظاهرة انكسار الضوء فى الزجاج ، ودرس من ذلك ظاهرة تحليل الضوء الأبيض إلى الألوان المعروفة ، وبذلك عرف أن الضوء الأبيض الذى يصلنا من الشمس خليط من أشعة مختلفة ألوانها وقد أثبت ذلك بأن جعل الضوء يمر فى منشور زجاجى فيتحلل إلى الألوان المعروفة : الأحمر ، والبرتقالى ، والأصفر ، والأخضر ، والأزرق ، والأرجوانى ، والبنفسجى ، وهى ظاهرة الطيف التى نشاهدها أيضاً فى قوس قزح حيث تلعب كرات الماء المنتشرة فى الفضاء دور المنشور فيتحلل الضوء عند اختراقها إلى ألوانه السبعة



(شكل ١) تحليل الضوء الأبيض بواسطة منشور زجاجى

ويرى القارئ فى الشكل (١) تحليل الضوء بواسطة المنشور ، ويرى المنطقة التى يكون فيها اللون الأحمر واللون البنفسجى ، كما يرى المنطقة التى تكون فيها الأشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية

ولو أننا وضعنا – كما فعل نيوتن – أمام الأشعة المبعثرة عدسة فإن هذه الأشعة تتجمع مرة أخرى بعد خروجها من العدسة وتكون الضوء الأبيض من جديد

ولقد كان الانكسار فى الضوء الأساس فى اختراع كل الأجهزة الضوئية : كالمنظار الفلكى (التليسكوب) والمجهر (الميكروسكوب) والجهاز الفوتغرافى . بهذه الأجهزة جال الإنسان بنظره وفكره من العوالم البعيدة إلى الدقائق التى لا تراها العين ، واستطاع أن يحتفظ بصور الأشياء والحوادث ، اجتماعية كانت أم علمية ؛ وهكذا بتعديل فى شكل الزجاج خرجت صناعة هامة هى صناعة العدسات ، واقترنت هذه بأعمال الإنسان حتى بات فريق كبير يحملها على العيون ليرى للعالم صورة أوضح من التى تسمح له بها حواسه ، وكان ذلك امتداداً عجيباً لوظيفة العين البشرية ، أى امتداداً لحياتنا البيولوجية

لم تكن هذه الظواهر : من مسار الضوء فى خط مستقيم ، وانكساره عند اختراقه المواد ، وتحليله إلى ألوان مختلفة – بكافية لتعرف حقيقة الضوء ؛ وكان على الباحثين لمعرفة ذلك أن يدرسوا خواصه دراسة وافية ، وهذا ما عكف عليه العلماء الذين ذهب التفكير بهم إلى افتراض احتمالين :

الأول أن يكون الضوء مكوناً من جسيمات صلبة مقذوفة فى الحيز

والثانى أن يكون الضوء حادثة وقعت على جسيمات أخرى مادية ، وليس هو الجسيمات بذاتها ، وفى الحالة الثانية يكون الكون بأسره مملوءاً بهذه المادة التى سموها الأثير Ether وهذه المادة لا نراها بالذات إنما نرى ما يحدث فيها من تعديل أو تموجات ، وظل الرأيان يتناوبان المكان الأول عند العلماء الذين اعتقدوا أولاً فى الفكرة الشيئية (أى الجسيمية) ثم اعتقدوا ثانياً فى الفكرة الحدثية (أى الموجية) ، ولأسباب سنذكرها هنا انتصرت الفكرة الأخيرة عهداً طويلاً ، وظلت النظرية الصحيحة إلى أن حولت النظريات الحديثة ونظرية الكم Quanta مرة أخرى المقائد نحو الفكرة الأولى

أما النظرية الشيئية فقد أسسها نيوتن Neuton ففرض أن

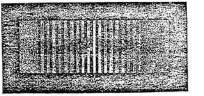
الضوء مكون من جسيات صلبة صغيرة مقذوفة فى خط مستقيم فى الفضاء ، وكان لما يتكون من ظل لأى جسم موضوع أمام منبع ضوئى دليل عنـد نيوتن على ما احتجزه الجسم من هذه الـكرات التى حال الجسم دون مرورها

أما النظرية الحديثة ، فقد أسسها الرياضى الهولاندى ويجانز Huyghens وقامت فى المبدأ على اعتبارات نظرية وحسابات قام بها هذا العالم ، وكان لا بد من أسباب علمية هامة لـكى يهجر العلماء نظرية نيوتن الجسيمية Corpusculaire على ما لمؤسسها من مكانة ليتمذهبوا بالمذهب الجديد .

على أننا نلخص المهم من هذه الأسباب التى خرج بها علينا العلم التجريبى :

السبب الأول كان فى ظاهرة يسمونها (التداخل الضوئى) Intérference ، والسبب الثانى كان فى ظاهرة يسمونها الاستقطاب[1] Polèrisation ، وللقارئ نوجز الظاهرتين :

عندما يقع شعاع على جسم يضيئه شعاع آخر ، فإنه من البديهى أن يزداد توهج الجسم بهذا الشعاع الثانى ، وهى نتيجة حتمية لنظرية « نيوتن » التى تقول بازدياد عدد الجسيمات الضوئية الواقعة على الجسم ، وبرغم هذه الحقيقة التى نشاهدها فى تجاربنا العادية توصل العلماء إلى تجارب من نوع معين يتبين منها أن هذه الإضافة لشعاعين من الضوء ينتج عنها ظلمة حالكة بدل أن ينتج عنها زيادة فى الضوء



(شكل ٢) ما نراه فى ظاهرة التداخل الضوئى

وقد كشف هذه الظاهرة الطبيب والطبيعى المعروف توماس يونج[2] Thomas Young وتتلخص تجربته فى أنه وضع حاجزاً

(١) فى محاولة لا أدرى مدى نجاحها أعتقد أنه ربما نستطيع معرفة سرعة المياه فى المنطقة المجاورة لقاع النيـل والترع بالالتجاء إلى ظاهرة الاستقطاب دون ما التجاء لاستخدام الجهاز المعروف لدى مهندسى الرأى باسم « السكارنتيمتر » Current metre أو moulinet Hydrométrique الذى يصعب استعماله فى المنطقة القريبة من القاع

(٢) أعتقد أنه كان ليونج بالذات بحث هام قام به فى مصر عن الآثار المصرية

به ثقبان أمام منبع ضوئى وشاهد على حاجز آخر موضوع خلف الأول سلسلة من الخطوط المضيئة والمظلمة المتجاورة ، ذلك أن هذا الحاجز يضاء بما ينبعث من ضوء خلال الثقبين ، وفى الشكل (٢) يرى القارئ صورة لهذه الظاهرة التى لا يمكن تفسيرها بنظرية « نيوتن » ويمكن تفسيرها بالوسائل الرياضية إذا اعتبرنا الضوء ظاهرة موجية[1] ، ذلك لأن موجتين متضادتين وحادثتين فى مكان واحد تمحو إحداهما أثر الأخرى ، ويظهر ذلك فى هذه الخطوط السوداء التى رغم تعرضها للمنبعين لا يظهر عليها أثر للضوء. وليس المجال هنا لنذكر التجارب المختلفة التى وفق فيها العلماء لرؤية هذه الظاهرة ، ولا بد أن يكون قد رآها كل من أتيحت له فرصة عمل تجارب فى إحدى كليات العلوم ، مثل التجارب المعروفة باسم حلقات « نيوتن » أو « مرآة فرنل » وغيرها . كذلك لا ندخل فى تفصيل التطبيقات العديدة التى استخدمت فيها ظاهرة التداخل لـكل مهندس تتاح له الفرصة فى معرفة ما تقدمه العلوم الطبيعية من تطبيقات مفيدة يعلم أنه يستطيع أن يعرف درجة تمدد أو ضغط إحدى الأعتاب الحاملة للجسور الحديدية[2] بواسطة أجهزة ضوئية تستند إلى ظاهرة التداخل الضوئى ، كما يعرف أنه من السهل الآن تبين سمك لوحة رفيعة أو دراسة ما على سطحها من تماريج أو حركة بالاتجاه إلى أمواج الضوء ، واستخدام ظاهرة التداخل فى القيام بما يصعب قياسه بالطرق العادية[3]

أما الظاهرة الثانيـة فهى ظاهرة الاستقطاب التى تفرغ لدراستها أيضاً المهندس والعالم « فرنل » ونشرحها هنا فى كلمتين :

ثمة نوعان من الأمواج فى الظواهر الطبيعية المختلفة ، أمواج طولية حيث تتذبذب الجسيمات فى اتجاه سير الموجة ، وأمواج مستعرضة حيث تتذبذب الجسيمات فى اتجاه عمودى على سير الموجة. وأظهر مثال للأخيرة تلك الأمواج التى نشاهدها على سطح المياه حيث يرتفع المـاء ويهبط فى مكانه عموديا على الاتجاه الظاهرى لمسار الموج دون أن يتحرك الماء من مكانه نحو هذا الاتجاه ،

(١) يرجع تفسير ظاهرة التداخل إلى المهندس الفرنسى المعروف فرنل Fresnel الذى قام أيضا بتجارب هامة عن الضوء الموجى والذى توفى عن ٣٩ عاما

(٢) قام بهذه التجربة الأستاذ « ميناجيه » من أساتذة مدرسة الكبارى والجسور بباريس

(٣) مما هو جدير بالذكر أن ثمة ظاهرة أخرى اسمها ظاهرة الحيود الضوئية Diffraction ، ولا ندخل فى تفاصيلها، أيدت أيضا النظرية الموجية وعارضت النظرية الجسمية

ولقد أثبت «فرنل» أن الضوء ظاهرة موجية من النوع الأخير فهي كموجة الماء تتذبذب في اتجاه عمودي على مسار الموجة ، ولا تختلف عنها إلا في أنها مع مرور الوقت تدور هذه الذبذبة في المستوى العمودي الذي تتذبذب فيه ، وقد لاحظ « فرنل » أن الضوء عند ما يخترق نوعاً من البلور فإنه يتذبذب عمودياً كما كان قبل اختراقه البلورة ، ولكن الذبذبة تتخذ صفة جديدة ، ذلك أنها تتذبذب في اتجاه واحد ، ويسمى هذا الشعاع مستقطباً ؛ وقد بيّن « فرنل » أن ظاهرة التداخل لا تحدث بين شعاعين من هذا النوع إلا إذا كانا مستقطبين في اتجاه واحد . وظلت فكرة « فرنل » التي تتلخص في أن الضوء ظاهرة موجية مستعرضة تستلزم وجود مادة أثيرية لحدوث هذه الموجات فكرة غير مقبولة من العلماء الذين لم يؤمنوا بوجود مثل هذه المادة في الكون، وهي المادة التي لجأ إليها كل من «فرنل» و «ويجانز» لتفسير ظاهرتي التداخل والاستقطاب التي صعب تفسيرها بنظرية « نيوتن » الجسمية ، وظل الأثير وسطاً يتطلب الدراسة

وهكذا لم يكن من المستطاع التعرف على الضوء كحالة موجية دون أن يكون هناك هذه المادة الأثيرية التي تملأ الكون ، وكان شأن الأثير من الضوء شأن الماء في بحيرة سقط فيها حجر ، وإلا فكيف تصل لنا آثار الحجر إذا لم يوجد الماء ، وكيف تصل لنا هذه الدوائر على سطح البحيرة تتسع رُوَيداً رويداً حتى تبلغ الشاطيء إذا خلت البحيرة مما يحمل هذه الدوائر ، ومع ذلك ظل الأثير فرضاً لا نعرف عن خواصه شيئاً ، وكل ما نعرفه أنه مادة خفيفة شبيهة بالغازات ، لا نستطيع تفريغها مهما كانت أجهزتنا قوية، فهو يملأ المصباح الكهربائي مهما كان مفرّغاً، وبواسطته يمر الضوء من السلك المعدني إلى الغلاف الزجاجي وإلى ما وراء هذا الغلاف

ولقد صادفت فكرة « فرنل » عن الموجات الضوئية ووصفها بأنها مستعرضة عقبة جديدة ، ذلك أن الأثير باعتباره مادة شبيهة بالغازات لا يقبل غير الموجات الطولية ، وقد استمسك «فرنل» برأيه في أن الضوء أمواج مستعرضة حتى أنه ، عند ما تشبث « بواسون » Poisson بأن التموجات الطولية هي وحدها الكائنة في الأجسام الغازية ، لم يسع « فرنل » إلا أن يطلب من هذا العالم أن يصحح رأيه في خواص الأثير الذي قد يكون له خواص الأجسام الصلبة ، ويقول «ريشنباخ» Reichenbach إن تصميم « فرنل » هذا كان سبباً لكي يمتنع زميله « أراجو » Arago من أن يوقع معه النشرة العلمية النهائية الخاصة بهذا الموضوع . وفي القرن التاسع عشر عكف العلماء على القيام بتجارب عديدة يتبيّنون منها وجود هذا الأثير ويتعرفون بها على شيء من خواصه ، وتساءل بعضهم ماذا يحدث في الأثير عند ما يتحرك جسم فيه ؟ ثمة احتمالات ثلاثة :

الأول أن يحمل الجسم معه الأثير بأسره المحبوس بين جزيئات الجسم . والثاني أن للأثير مرونة عظيمة تسمح أن يمر الجسم فيه دون أي احتكاك ظاهر

والثالث أن يكون للأثير حالة متوسطة ، أي أنه يشترك جزئياً مع حركة الجسم، وهو رأي مال إليه « فرنل » وعززه بحسابات أراد منها أن يعرف درجة اشتراك الأثير في مثل هذه الحركة

وقد عمد فيزو Fizeau لتحقيق ما ذهب إليه فرنل ، وفي تجربة معروفة أرسل شعاعاً في أنبوبة مملوءة بالماء الجاري كما أرسل في الأنبوبة ذاتها شعاعاً آخر في الاتجاه المضاد ، بحيث يسير مع الماء أحد الشعاعين ويسير بعكسه الشعاع الآ[illegible] ، وباعتبار أن المادة الحاملة للضوء هي الأثير وأن هذا ، وفق النظرية المتقدمة ، يتحرك مع الماء بعض الشيء ؛ فإنه يجب أن تختلف السرعة لشعاعي الضوء في الحالين . وباللجوء إلى طريقة دقيقة استخدم « فيزو » فيها لقياس السرعة ظاهرة التداخل الضوئي استطاع أن يقيس الفرق بين السرعتين ، فأيدت صحة هذه التجربة فكرة « فرنل » عن وجود الأثير وعن معرفة شيء عن حركته[1]

على أن تجربة أخرى تعد في نظري من أهم التجارب التي أحدثت انقلاباً في التفكير الحديث قام بها العالم المعروف « البرت ميكلسون » Albert michelson في سنة ١٨٨١ ، وكان لها أثر في عقيدة العلماء فيما يخص الأثير، هذا الوسط الوهمي، وسيرى القارئ كيف سببت تجربة ميكلسون تضارباً في الرأي وأحدثت أزمة علمية عصيبة ، وماذا كان أثرها على التفكير الحديث في فهم الكون.

محمد محمود غالي
دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم الهندسخانة

(١) سيتضح من التجربة التالية لميكلسون خطأ « فيزو » ومهما يكن من أمر تجربة « فيزو » هذه ، فإنها توحي للباحث بفكرة أخرى تهمنا في حياتنا العملية ، وهي احتمال قياس السرعة المتوسطة لمياه الأنهار كالنيل بإرسال ذبذبة صوتية في اتجاه سير المياه ، ولمسافة كبيرة تبلغ بضعة الكيلومترات ، وإرسال ذبذبة مماثلة في الاتجاه المضاد ، ومحاولة استنتاج السرعة المتوسطة لمياه النهر وبالتالي تصرف النهر من مقارنة الفترتين اللتين وصلت فيهما هذه الذبذبات ومن معرفتنا لسرعة الصوت في الماء



عفـــــراء الغجرية

للأستاذ محمود الخفيف

كان على صهوة مهره الجميل ذات صباح من أصباح بشنس البهيجة في طريقه إلى حقل من حقول أسرته المترامية البعيدة ، وقد برزت الشمس من وراء كِلَّتها الوردية، وأخذ ذوبها العسجدي يرف في ذرى الأغصان وأطراف السعف وأجنحة الطير . وكان نسيم الصباح الندىّ ينفح الناس والشجر والدواب في تلك البطاح المنبسطة التي لم تبق فيها مناجل الحاصدين إلا جذور القمح ، والتي تلمح العين فيها على أبعاد ، مزارع القطن الخضراء ، وقد أخذت تدب القوة في شجيراته الموموقة المصفوفة ...

وكانت الحقول آهلة بالناس ، فهنا وهناك جماعات الحاصدين قد تحلقوا حول الفطير والعسل ، أو تمددوا على فرش الحصيد ، أو انحنوا فرادى على السنابل الذهبية يجذونها بمناجلهم ... وهنا وهناك حاملات الفطور بين غاديات ورائحات ، ولاقطات السنابل لا يزال بعضهن يلتقطنها ؛ بينما يخطر بهـا الأخريات حزماً على رؤوسهن يزداد بها قوامهن رشاقة وملاحة ؛ والطرق إلى القرية تتقاطر فيها الإبل تحمل السنابل ويتغنى خلفها الفلاحون — وهم بين هاتف وزامر — وبينهم بعض البـدو ممن يهبطون القرى بجمالهم في هذا الموسم لنقل أحمال الحصيد إلى البيادر ...

كان كل شيء باعثاً على البهجة ، فما ترى العين ولا تسمع الأذن إلا فيض السرور ؛ ولكن « حسيناً » كان يحس وحده الانقباض وسط هذا المرح الناس ... وكم كان يحسد هؤلاء الفلاحين على ما رأى من مظاهر هناءتهم ، وكم كان يتمنى لو أتيح له مثل ما يتاح لهم من نعيم ، ولو اشتراه بما يملك جميعاً ! بل لقد كان يحسد مهره ، وقد خيل إليه كأنما طاف به طائف من هذا السرور ، فهو يتبختر تبختر النشوان ، حتى لو تكلم لباهى بفتوته وجمال غرته ، ولام صاحبه على ما يبدو عليه من هم !

وتنهد الفتى ، وقد ذكره ذلك السرور شجونه ، واستحث مهره يريد أن يصل به سريعاً إلى حيث كان يريد أن يقضي النهار في منزله ، في ذلك الكوخ القائم على ضفة الترعة الكبيرة ، بالقرب من أكواخ تلك الأسرة البدوية التي تقيم هناك منذ سنين لحراسة الزرع ؛ وما كان يأوي حسين إلى ذلك الكوخ إلا حين كان يضيق بهمه ، وتثقل على نفسه الحياة

وانعطف به مهره عند نهاية قناة طويلة تجري وسط مزارع أسرته ، فلم يكد يتجه اتجاهه الجديد ، حتى وقعت عيناه خلف شجرة كبيرة على بعض أخبية للبدو لم يرها من قبل هناك ، ينبعث الدخان من كوانينها ، وتنبح الكلاب المارين بها . ونظر ، فإذا هو يرى بأحد هذه الأخبية فتاة مضطجعة ، عجب لأول وهلة كيف يتأتى وجود مثلها في خباء من الشعر ، وهي لولا ملابسها البدوية ، وحليها البدوية ، لظنها الرائي إحدى غانيات القصور ، ففي وجهها الرائع القسمات ، وفي بدنها البض، مخايل النعيم والترف، وفي سمتها معاني الكبرياء والأنفة ، هذا إلى بياض بشرتها على نحو لا يكون إلا في الناعمات البيض من ربات الجمال ...

ورشقته الفتاة بنظرة من عينيها الدعجاوين الرائعتين ، نظرة فهم بفطرته منها كثيراً من المعاني : ففيها الإغراء والدلال ، وفيها الإعجاب به وبمهره الجميل ، وفيها الأنفة وعدم المبالاة ، وفيها الإقرار بما يبدو عليه من جاه ، وفيها الإيحاء إليه بجاهها هي وإن كان من نوع آخر غير جاهه ، نوع كم ذل له كل جاه ، وكم دانت له من جباه ... وسار ، وقد انطبعت في مخيلته صورة هذه البدوية الجميلة ، ورآها بين من أحطن بها كأنها وردة رائعة في بقعة من الشوك ... وحدثته نفسه وهو من لا يهاب ولا يضطرب أن يرجع ، فيجلس ساعة بين هذه الأخبية ليرى مبلغ كبرياء تلك الفتاة ، وهو لم ير هناك رجلاً ولا فتى ، ولن يضيره أن يحضر الرجال جميعاً ، فهم يقيمون في ملكه ، ولا يسعهم إلا الإذعان لسلطانه ... ولكنه ما لبث أن رغب عن ذلك ، ومضى في سبيله إلى منزله ...

* * *

وبلغ كوخه فترجّل وأسرع إليه صبي من البدو المقيمين

هناك فأخذ المهر إلى مربطه ؛ وجلس حسين فى الكوخ ينظر إلى الماء فى الترعة الساكنة الهادئة ويمنى نفسه بيوم هادئ ؛ وطافت برأسه أول الأمر طيوف همه ، ثم طاف بها خيال تلك البدوية الجميلة، وتمثلت له عيناها الجريئتان الساحرتان، فسرى عنه بعض ما به لحظة أسلمه بعدها إلى وجد عميق إذ تداعت إليه آلام حبه ولواعج قلبه ... وأفاق من أحلامه على صوت ارتفع من قرب بالتحية ... ونظر فإذا الشيخ مصطفى مقبل نحوه ، وامتعض حسين ولكنه أخفى امتعاضه بابتسامة متكلفة قائلاً : « وعليكم السلام يا عم الشيخ مصطفى . من أين أنت قادم ؟ »

— من عزبة على بك ، حيث كنت أحادثه فى شأن الأطيان التى يريد عمك البك استئجارها وقد قضيت الليل عنده

— هنيئاً لعمى ما يملك وما يستأجر ... أما أنا ... ولكن ماذا أقول ربنا موجود ياعم الشيخ مصطفى

— ياسى حسين بك دائماً تشكو ، قريباً تأخذ ملكك وتتمتع به ، المسألة زيادة حرص من سيدنا البك عليك

— قريباً ... نعم قريباً ، بمشيئة الله وبإرادتى أنا لا بإرادة سيدنا البك

وخشى الشيخ مصطفى أن يسمع عن سيده ما لا يحب ، فاستأذن ونهض يريد الانصراف ، ومد يده إلى حسين فسلم عليه وهو مضطجع والشر يلمع فى عينيه وقال له وفى وجهه جذوة الغضب : « قل لسيدنا البك إن حسين لم يعد صغيراً وهو لن يطيق بعد اليوم أن يحيا هذه الحياة وله عندك أكثر من ثلاثمائة فدان ... كفى ... كفى أنى انقطعت عن التعليم بسبب شحه على وكنت قريباً من النهاية ... لا ! لا ! الصبر بعد اليوم مذلة »

ومضى الشيخ مصطفى ، يشيعه حسين بلعناته ، وقد كان هذا الرجل من أبغض الناس إليه ، لما عرفه عنه من الملق والمداهنة وشدة المكر ، هذا إلى أنه لا يذكره عند عمه إلا بالسوء كأنه يرى فى ذلك وجهاً من الزلفى

وتشاءم حسين بمرأى الشيخ مصطفى كاتب زراعة عمه ونائبه فى أعماله وزاده مرآه همّاً على هم؛ وتذكر أنه ما كان يراه مرة أيام كان طالباً إلا رسب فى امتحانه أو أصابه المرض إن لم يعقب مرآه امتحان

والتفت حسين نحو الترعة يريد أن يغيب فى سكونها ثورة نفسه فأبصر تلك البدوية الحسناء وقد حسرت ثوبها عن ساقيها الجميلتين ونزلت فى الماء تغترف منه فى إناء صغير من الفخار ، وتبدت لعينيه كأنها تلك الجنية التى كان يسمع من أوصافها وهو صغير ما كان يخفق له قلبه رعباً ... ولقد خفق قلبه الآن لمرآها ولكنها اليوم خفقات الإعجاب بهذا المنظر الساحر الفاتن ...

وكأنما كانت بما تأتيه من حركاتها الرشيقة تدعوه ليحدثها وما كان بحاجة إلى هذه الدعوة فقد خف إليها وحياها فى جرأة فردت فى فتور وهى تعريه بعينيها وتتكلف الحياء فتشيح بوجهها عنه وهى منحنية على الماء ، وسألها عن اسمها فتباطأت لحظة وهى تبسم له ابتسامة نفذت إلى قلبه ثم قالت : « خادمتك عفراء ... » ووثبت إلى الشاطئ ووضعت الإناء فوق رأسها وهمّت معجلة بالانصراف ، فاستوقفها فتأبت ، فقال : إنه لن يسمح لها بالسير إلا على موعد . فضحكت وقالت : حتى ترى القمر فى الضحى ؛ وأجاب من فوره: ها قد رأيته ، وأشار إلى وجهها الجميل ...

ولم تكد تخطو حتى مر بالكوخ فتى فى نحو الثلاثين كره حسين مرآه ، فى لفتته لفتة الذئب ورآه ينظر نحو عفراء نظرة ملؤها الغضب والغيرة

عاد حسين إلى القرية بعد عشرة أيام قضاها فى منزله على ضفة الترعة ، حيث كانت توافيه إليه عفراء كل ليلة فتجلس معه ساعة أو بعض ساعة

ووصل إلى منزل عمه وقد غربت الشمس فوجده جالساً على كرسيه أمام داره وحوله جلساؤه وعلى مقربة منه كاتب زراعته ؛ وألقى الفتى إليهم السلام فردوا جميعاً إلا عمه فقد نظر إليه نظرة كريهة لمح فيها لأول مرة إلى جانب البغض ما يشبه التشفى ... وعجب حسين أن رأى معانى الرثاء واضحة فى نظرات من لقيهم من الخدم وقرأ على وجوه الخادمات وبخاصة عزيزة أن كلا منهن تريد أن تفضى إليه بنبأ ، فاضطرب قلبه فى جوانحه وقد فهم كل شئ ...

ونادى عزيزة فأقبلت عليه لا تدرى كيف تفضى إليه بما تريد من نبأ ، فارتسمت على شفتيه ضحكة متكلفة حزينة كأنما يقول

لها بها : هيه لا تخافى . وقالت عزيزة « يا سيدى حسين ستى ثريا هانم خطبوها خلاص وكتب الكتاب بعد شهر ... »

وأحس كأن قلبه يدمى فى جوانحه ؛ وتقطعت أنفاسه كأنما مسه نصب شديد ، ولكنه تجلد ريثما صرفها ، ثم أسند ظهره إلى حائط البيت يخشى أن يسقط على الأرض ... ثم مشى يجر رجليه فأوى إلى مضجعه وجلس فى الظلام ساعة ...

وبث اليأس فى قلبه البأس والقسوة فلن يعبأ بعد اليوم بشئ وهو يريد أن يعرف أولا ماذا ترى ابنة عمه فيما أريد لها، ولذلك وثب من مكانه لا يدرى أين يذهب ولا من يسأل ، وفى مخيلته نظرة عمه وما فيها من معانى التشفى ، وفى نفسه وساوس وهواجس ونيات سود فزع حتى فى ساعة يأسه منها ... وما قيمة حرمانه مما يرث إلى جانب حرمانه من أمله الذى لا يرى للحياة معنى من دونه ؟ ولم يكد يخطو من منزله إلى منزل عمه حتى رأى عزيزة فناداها وهم بسؤالها ولكنه لم يعرف كيف يدير الحديث إلى غرضه ففهمت ما يريد فقالت فى لهجة الواثق : « ما تخافش أبداً يا سيدى حسين أنا عارفه ... »

— عارفه إيه ؟ هل قالت لك حاجة ؟ لازم أعرف

— لا مافيش حاجة إنما أنا عارفه وبكره تشوف وابقى قول عزيزة قالت لى ولى عندك الحلاوة

وانصرفت عزيزة مخافة أن يراها سيدها ، ووقف حسين فى مكانه يدير كلامها فى عقله متسائلاً هل أتت به من عندها أم سمعت شيئاً من سيدتها ولكنها لا تذكره لأنها لم تؤمر بذكره؟ وفزع بآماله إلى الرأى الثانى فهدأت ثورته قليلاً

مضى حسين إلى (دوار) عمه، وجلس وحده فى ركن هناك، وظل يفكر فى همه مطرقاً حتى أحس بيد على كتفه فرفع بصره فإذا هو ابن عمه أحمد ، وكان هذا على خلاف أبيه ، يبدى المودة لحسين ، ويكاشفه بما فى نفسه ... ومال الحديث بين الفتيين أول الأمر إلى الأرض التى يريد أن يستأجرها البك بالقرب من عزبة على بك ، وأظهر أحمد خوفه من عاقبة هذا العمل ، ثم أفضى إلى حسين أن على بك يستأجرها كل عام من البنك ، وعلى بك رجل خطر فتاك وبينه وبين أبيه ضغائن وإحن قديمة وليس من الحكمة أن يأتى أبوه هذا العام فيغرى البنك بأن يأخذها هو نظير زيادة فى الإيجار ، وليست به حاجة إليها ، بينما يحتاج إليها على بك أشد الحاجة لأنها تفرج عنه ضائقته التى يعانيها منذ بضع سنين، فضلاً عما فى فعل والده من معنى التحدى والتعدى وهو أمر له خطره الشديد عند الأسر

ووثبت إلى ذهن حسين صورة ذلك الفتى الذى مر به غداة ذهب إلى كوخه ، والذى كره حسين مرآه ورأى الإجرام واضحاً فى وجهه الشبيه بوجه الذئب؛ ولم يدر حسين لم يذكر الآن ذلك الفتى ولم يبعث تذكره فى قلبه الرهبة ويشيع فى نفسه الكآبة . ورأى حسين فى وجه ابن عمه أنه يريد أن يحدثه فى أمر ، فسبقه حسين إليه وقال ضاحكاً : « مبارك النسب الجديد يا سى أحمد »

— لا دى مسألة وتفوت . عمك يريد معاندتك ... إحنا كلنا معك ، مين يفوت ابن العم ويفضل الغريب — لا تهتم غاية ما فى الأمر لا تعاند عمك . وازدادت المحبة فى قلب حسين لابن عمه أحمد ، وقد تبين فى لهجته الجد والصدق

* * *

لم ينم حسين ليلته إلا غراراً وقد ذهبت به الهواجس كل مذهب ، ولما أخذته سنة رأى فى نومه أنهم قد ذهبوا به إلى القبر وأنه فزع من ضمة القبر وظلمته ؛ وأنقذته الديكة بتصايحها من حلمه المخيف ، فهب ، ولكنه تمنى لو كان الحلم حقيقة ... أتزف ثريا إلى غيره وهو حى ؟ ... ثريا ابنة عمه التى ما أحب غيرها وهى منذ الصغر مسماة عليه ؟ أكان يفعل عمه ذلك لو كان أبوه حياً ؟ وماذا جنى حتى يطعنه عمه تلك الطعنة ؟ لا شىء إلا أنه يطالب بحقه ... وما قيمة الحياة مع هذا الهوان ؟

وتمثلت له أيامه الجميلة ، أيام سعادته بحب ابنة عمه ، أيام كان يناقلها الأحاديث العفة ، وهى مطرقة فى سذاجة خلوة تستروح نسمات الحب ، وتحلم أحلام الحب ، وترى فى ابن عمها دنيا آمالها ، ويرى فيها جنة أحلامه ...

وعول من فوره أن يذهب إلى منعزله على ضفة الترعة ، فما يطيق العيش على مقربة من عمه ... بل إنه ما يطيق الوجود

كله ، وامتطى مهره وانطلق بعد أن قابل عزيزة ؛ ومر فى طريقه بخيام البدو فلم ير عفراء هناك . . . على أنه كان من همه فى شغل عنها وعن سالف لهوه معها .

* * *

— كيف الحال يا شيخة العرب ؟

— الحمد لله . . . ربنا يخليك يا سيدنا البك

— مين هوه الجدع اللى كان هنا الغريب ده ؟

— ربنا يكفينا شره ... الله يسهل له ... دا بعيد عنك ... دا يقتل الرجل بجنيه أو بكيلتين حب

— ولم يأتى عندكم ؟

— دا يروح عند أى جماعة من العرب ، ما حدش يقدر يكلمه . . . يا ما ياخد من هنا خبز ولحم وشاى . . .

وكان حسين يعرف الكثير من أحوال هؤلاء الأعراب الذين يحترفون القتل ، وليس يدرى لم لاح له شبح الجريمة منذ رأى ذلك الأعرابى ... هل جاء لقتل عمه ؟ يفعلها على بك ولا يبالى ...

فكر حسين وأطال التفكير ، وبينما هو يقلب الأمر على وجوهه ، إذ لمح عفراء مقبلة تحيت باسمة ولمحت عيناها السريعتان الهم فى وجهه ، فقالت مداعبة :

— أعرف البخت وأقرأ الضمير ... فهل تريد ؟

— أين الرمل والودع ؟

— لا ... يكفى هذا الطمى ... ارم بياضك

ودهشت الغجرية أن رأت حسيناً يرمى إليها جنيهاً براقاً كعين الشمس ، ولم تصدق أنه لها أول الأمر حتى استيقنت من ذلك فراحت تقول وهى تخطط الطمى بأصبعها :

— عدو جديد ... احذره ، ولكن الوردة لك لا لغيرك ... صلى على النبى ... واحد يكرهك وواحد يوزّ عليك والباقى يحبوك وانت منصور ... شر كبير ولكن يفوت وربنا يسلم

وسكتت العرافة وتلعثم لسانها ، وجرت صفرة فى وجهها الوردى ، واختلجت عيناها واضطربت أصبعها ، ثم قالت :

— وفيه وردة ثانية، لكن آه ! تعرفك وتتمنى نورك، وانت موش دارى

وفهم ما تريد ولكنه تغابى ، ودنت العرافة منه وهمست فى أذنه كلاماً دق له قلبه وانطفأت حمرة وجهه وارتعدت مفاصله .. وانطلقت وبودها لو عرف الوردة الأخرى وشمها شمة ...

إذاً فقد أصبح الوهم حقيقة ... فهذا الذئب ما جاء إلا ليفتك بعمه ، ولكن من أدرى عفراء ؟ لعلها سمعته يفضى بسره إلى زميل له من البدو . وماذا يفعل حسين ؟ لقد مرت برأسه فكرة ارتاع منها وانتفض لها جسمه ... لا، كيف يسكت؟ أيطيق أن تفجع ثريا فى أبيها ؟ ... وهو ؟ أليس هو عمه على الرغم من كل شىء ؟ ألم ينحدر هو وأبوه من صلب واحد فهو بذلك قطعة من أبيه ... ؟ وكيف يلقى الله ودم عمه على يديه ؟ وكيف يهنأ بعيشه بعد الجريمة ... إنه يحس أن سكوته اشتراك بكل معانى الاشتراك

ويوسوس له الشيطان فيقول : هبك لم تعلم ومات عمك أفلا تتمتع بملكك وحبيبة قلبك ؟ كلا ... كلا ... إن الدم لا يهون؛ وهو يعلم ما يبيت لعمه ... ولكن كيف تزف ثريا إلى غيره ثم لا يحدث ذلك إلا نكاية فيه ؟ ويحه ما باله ! تنازعه هذه الهواجس والأمر بين ؟ ماله يلتفت نحو الترعة ؟ أيريد أن يعبر إلى العدم لجّيها ؟

* * *

قضى ليلته مشرد اللب خائر البدن تفزّعه الرؤى السود وتنهش أحشاءه المخاوف ، وبات يخشى على نفسه هو ، ومن يدريه فلعل ذلك الذئب قد علم من حيث لم يدر هو ولم تدر عفراء ، بما أفضت به إليه ... لعله رآها تهمس فى أذنه ومثله من يرتاب فى كل شىء ومن يفهم باللمحة الخاطفة ، وأغمض جفنه، فرأى وهو بين اليقظة والنوم أنه ماثل أمام أبيه مغلول اليدين والدماء على ملابسه وبديه ، وعمه فى أكفانه ينظر إليه من كثب ولا يستطيع أن يتكلم ... ومرت بوجهه أنفاس الفجر الندية فقام وهو لا يكاد يقوى على القيام ... ثم عقد النية أن يخبر الشيخ مصطفى بما علم وهو الكفيل بأن يقضى على الذئب قبل أن يقضى الذئب على عمه

وأرسل من جاءه بالشيخ مصطفى ، وجلس كاتب عمه بين يديه ساكتاً ، وسكت حسين لحظة

— تألمت والله يا سيدى حسين لما علمت بنبأ الخطوبة الجديدة

— ليه ؟ هذا نسب عال ...

— على كل حال أنت أولى من الغريب ولكن ما الحيلة ؟

— يا سيدى دى قسمة وربنا هو اللى عمل كده … هل يكون العقد بعد شهر صحيح ؟

— لا، ربما كان قبل ذلك فالبك مستعجل

وأمسك حسين وصمم على كتمان ما علم ، ولكنه حار كيف يصرف الشيخ مصطفى … واستأذنه لحظة وراح يمشى على ضفة الترعة جيئة وذهاباً وهو ضائق بما كان يبدو له من نظرات التشفى فى وجه الشيخ مصطفى وإن بالغ فى إظهار تألمه … وناداه فأفضى إليه بما علم ، ثم صحبه إلى القرية وقد أصبح يخاف من كوخه

وانقضت أيام ، أخذ يزداد فيها حسين قرباً من عمه بعد أن كان موضع الريبة والحذر الشديد ، فقد اتهمه الشيخ مصطفى عند عمه بتدبير الجريمة ، ولكن الشيخ مصطفى ما لبث أن جاء من لدن عفراء بالخبر اليقين … وأجل العقد الذى أريد من قبل ليحل محله بعد التخلص منه عقد آخر … وأخذت الأيام تبتسم لحسين بعد عبوس مخيف طويل، ولم يعد يكدر على الأسرة صفوها إلا خوفها وحذرها البالغ على حياة البك ، ذلك الحذر الذى كان يتجلى فى إحا[illegible] منزله ليلاً بالحرس الساهرين

ولم تحل يقظة الحراس دون أن تفزع الأسرة كلها بعد المشاحنات ليلة من صوت انطلاق بندقية استقر مقذوفها فى كتف البك وهو فى مدخل الحارة المؤدية إلى بيته

وهرع إليه ذووه يعتقدون أنه قد فارق الحياة … ولكن الله سلم فحالته لا تنذر بالخطر … لقد أخطأ الجانى مرماه ؛ وشغل الناس هول الفزع عن تعقب المجرم ، فتسلل تحت جنح الظلام وهو من يعرف كيف يفلت مهما نصب فى طريقه من الفخاخ

ولئن أخطأ الذئب مرماه هنا فلقد أصابه بعد ساعة أو بعضها فى مكان آخر ؛ فهؤلاء البدو يهبون من خيامهم مذعورين على صوت مقذوف … أعقبه صرخة ، ونظروا على ضوء مصباح صغير فإذا الدم الحار يتدفق من قلب عفراء ، ووجهها الجميل لا تزال عليه بسمة أحلامها وهو متجه إلى السماء …

الخفيف



الحصار لا يكفى

[ملخصة عن « ذى كونتمبورارى رفيو » لندن]

كثير مما يقال عن تأثير الحصار فى الحرب العظمى ، ويلغط به الناس، يحمل طابع المبالغة. فعلى الرغم من موقعنا الجغرافى الممتاز وتفوقنا البحرى العظيم ، فإن هذا الحصار لم يؤت ثماره إلا بعد اشتراك أميركا فى الحرب . إن تنفيذ مبدأ كهذا المبدأ على البضائع التى تصدرها دولة قوية محايدة كالولايات المتحدة يعد من الأمور المستحيلة . فإذا حاولنا ذلك تعرضنا لمشاكل سياسية لا نهاية لها . ومما لا شك فيه أننا كنا إلى منتصف عام ١٩١٧ غير قادرين على منع كثير من البضائع الهامة التى ترسل إلى ألمانيا عن طريق اسكاندينافيا وغيرها من الأمم المحايدة

ولم يكن للحصار تلك القوة القاهرة التى تقضى على خصومنا القضاء المبرم كما يعتقد الكثيرون ، حتى حين أصبح أمراً واقعاً على الأعداء . فلا نعرف أن خطة حربية ذات أهمية تذكر أخفقت بسبب نقص السلاح أو الذخيرة وكان الحصار السبب المباشر لهذا النقص . ولم يشك أحد من قواد الألمان فى جميع الميادين نقص السلاح أو الذخيرة طيلة الحرب ، وإن كانوا يشكون قلة الرجال . ولا نستطيع أن نعزو انعدام الدبابات فى الجيش الألمانى إلى الحصار كما أننا لا نستطيع أن نقول إن الطائرات الألمانية أو الغواصات نقصت بهذا السبب

ولكن ضغط الحصار كان واقعاً فى الحقيقة على السكان المدنيين دون الجنود أو البحارة أو الطيارين . ولم يكن حتى هذا الضغط بالذى يؤدى إلى كبتهم وشل حركتهم كما يعتقد الكثيرون ويستدل من الكتاب الذى ألفه « جنرال واندوهر » بعنوان « الجوع » ــ وهو كتاب موضوع فى هذا الشأن ــ على أن ضغط الحصار لم يكن إلا نوعاً من حرب الأعصاب التى تضايق السكان بحرمانهم من الحصول على المواد التى اعتاد الرجل المتوسط الحال أن يحصل عليها فى سهولة ويسر ، ولم يكن بذى أثر فعال يصل إلى الإضرار بأجسامهم ونفوسهم كما قد يفهم وهذه نتيجة أستطيع أن أعززها بملاحظاتى الشخصية

ولا يفهم من هذا أن الحصار كان عديم الفائدة أو أن العدو لم يعان من أجله مصاعب لا يستهان بها ، ولكنى أرمى إلى الحقيقة التى لا شك فيها ، وهى أننا نستطيع أن نحاصر ألمانيا وأن نحكم عليها هذا الحصار ، ولكن لا يمكن أن نلجئها بذلك إلى التسليم

قد يكون من المعقول أن يفوز اللاكم على خصمه إذا وقف أمامه موقف الدافع فى جميع حركاته ، حتى إذا أنهكت قواه تغلب عليه بقوة الاحتمال ، ولكننا لا نعرف فيما نعلم أن ملاكما نال جائزة التفوق على خصمه بهذه الوسيلة

وقد يكون من المعقول كذلك أن تتغلب أمة عظيمة على أمة أخرى بإحكام الحصار عليها ، ولكننا لم نر ولم نسمع أن حرباً اكتسبت فى الواقع بهذه الوسيلة ، ولا نستطيع أن نستثنى الحرب الحاضرة من هذا الوصف

فإذا أردنا أن نربح الحرب يجب علينا أن نضع خطة حربية إيجابية نقدم عليها بكل ما لدينا من القوة ، فإذا كنا سنتعرض فى سبيل ذلك إلى بعض الأخطار ، فإن هذه الأخطار ستكون عوناً لنا على قهر الأعداء

يجب أن نفهم الفرنسيين

[ملخصة عن « ذى نيوستيتسمان » لندن]

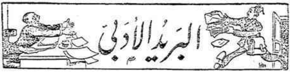
منذ بضعة أسابيع دعا أحد الرجال الإنجليز البارزين ممن يدعون إلى فكرة الاتحاد الدولى ، شخصية ممتازة من الرجال الفرنسيين البارزين إلى اجتماع فى أكسفورد . فشرح الإنجليزى رأيه فى النظام الأوربى الحديث ، وصور لضيفه الفرنسى نظرية الاتحاد الدولى الأوربى ، والأساس الذى يقوم عليه ، ثم استطرد قائلاً : « سوف ينتخب المجلس بطبيعة الحال من الدول القوية ، وسوف يكون عدد الممثلين فيه بنسبة عدد سكان كل دولة » . فاعترضه الضيف قائلاً : « ولكن عدد الألمان ٨٠ر٠٠٠ر٠٠٠ وعدد الفرنسيين ٤٠ر٠٠٠ر٠٠٠ ، فهل تعنى أن يكون عدد ممثلى الشعب الألمانى ضعف عدد الممثلين الفرنسيين » . قال الإنجليزى : « أو ليس هذا هو المنطق المعقول » ؟

لقد وقع هذا الحوار بين رجلين من رجال الأعمال . ولعل الفزع الذى أوقعه كل منهما فى نفس الآخر، هو مقياس ما بين وجهتى النظر البريطانية والفرنسية فى السياسة الخارجية . فهذا الإنجليزى ينظر إلى الحق بالطريقة الحسابية المجردة ، وينظر إلى جميع الاعتبارات التى نسمها باسم الضمان الوطنى ، كشىء لا يتفق مع قواعد الأخلاق . بينما يهتم الفرنسى بالضمانات الحربية التى تطلبها بلاده ، ويرى أن فكرة الحكومة الدولية ، ما هى إلا فكرة (يوتوبية) خيالية أو سياسة مكيافلية للعود إلى موازنة القوى الدولية ضد فرنسا . ومن ثم غادر اكسفورد وصدره يغلى بالضغينة وفؤاده يفيض بالسخط

إن من الواجب علينا قبل أن نطالب حكومتنا بالبيانات الوافية عن المقاصد الحربية ، وقبل أن نتقدم إليها بمزيد من المقترحات ، أن نضع حلاً للمشكلة الإنجليزية الفرنسية . فكل ما نشأ منذ نهاية الحرب الماضية ، من الاختلافات التى قد تعكر صفاء العلاقات الودية بين الدولتين فى بعض الظروف ، لم يكن منشأه اختلافاً جوهرياً فى المبدأ ، فنحن مرتبطين مع الفرنسيين برباط وثيق من تقاليد المدنية الغربية المتيدة منذ زمن بعيد ، ولكنه يرجع فى الغالب إلى اختلاف الطبيعة نظراً للفوارق الجغرافية والتاريخية بين البلدين

يزيد هذا الاختلاف تأثيراً ، أن كلتا الدولتين ديمقراطيتان ، فبينما تستطيع الدول الدكتاتورية أن تتفاهم فيما بينها على إهمال الرأى العام ، وعدم الاهتمام بآرائه ومعتقداته يظل رجال السياسة الديمقراطية مرتبطين بشعور الرأى العام وهو ينظر إلى الظروف الحاضرة من وجهة نظره المحدودة الضيقة

فالرأى العام الفرنسى والبريطانى كلاهما يعانيان تلك النظرة الديمقراطية المحدودة . فاذا أردنا أن نجد حلاً لهذه المشكلة يجب أن نضع قواعد وأسساً صالحة لفهم وجهتى النظر التى تذهب إليها كل من الدولتين . فبدلاً من مناهضة فكرة الضمان التى تغالى بها الوطنية الفرنسية يجب أن نفكر فيما إذا كنا نستطيع أن نعود منها بفائدة صالحة للدولتين



« وحي الرسالة »

تفضل صديقنا الأستاذ توفيق الحكيم فبعث إلينا بهذه الرسالة الكريمة :

صديقي العزيز الأستاذ الزيات :

أتيح لي أن أستمتع ساعات بقراءة ذلك الكتاب النفيس : «وحي الرسالة» الذي تفضلت بإهداء نسخة منه إليّ. وليست هذه هي المرة الأولى التي أتعرف فيها إلى سمو أسلوبك، وبلاغة تعبيرك، واتساع أفق خيالك ؛ ولكنها قد تكون المرة الأولى التي ترتبط فيها وتتركز تلك الفصول ، والآراء ، والأفكار ، والمشاهد الفنية التي تمخضت عنها مواهبك ، فيضمها كتاب ينعكس على كل صفحة من صفحاته شعاع من جمال روحك ، وفيض من نبع ثقافتك ، وذكريات غالية عرفت كيف تحرص عليها وتحتفظ بها ، ثم تنشرها تذكرة للناس وموعظة لهم .

إن أدب المقال يا صديقي من فنون الأدب الكبرى . وقل أن تشهد أديباً فحلاً لم يضمن أدبه وعمله الفني آراء اجتماعية ونظرات فكرية ، واتجاهات ثقافية . و « وحي الرسالة » يحمل صورة نابضة حية من ذلك «الأدب الكبير» الذي أشرت إليه. فهو في الواقع مجموعة دراسات عميقة ناضجة للمجتمع ، وتصوير بارع للتطورات الخلقية والنفسية ، وإشارات دقيقة وجولات موفقة في الأدب والحياة ، استثرت عواطفك في أجمل بقاعها ، وتغنى قلمك الرصين بأبهج مفاتنها .

جميل منك إذن أن تحرص على تدوين هذه الذكريات الغالية، وتنشر هذه الفصول القيمة ، لتكون ذكرى للماضي ، وعظة للحاضر ، وإيماناً بالمستقبل .

المخلص
توفيق الحكيم

الأدب الجاهلي في فجر الإسلام

كتب الأستاذ سليم الجندي عضو المجمع العلمي العربي « بدمشق » مقالاً رائعاً عن المناهج التي تتبع في دراسة الأدب العربي ، تطرّق فيه إلى الردّ على بعض ما وهم الأستاذ أحمد أمين في بحثه عن الأدب الجاهلي في كتابه «فجر الإسلام» وقد رأينا أن من الخير لقراء الرسالة أن ننقل إليهم قسماً من مقال الأستاذ ليتبادل أدباؤنا الرأي وتظهر الحقيقة .

قال الأستاذ الجندي : « وأنت إذا أنعمت النظر تبينت أن البلية كل البلية أتت اللغة من الكتاب الباحثين، وهؤلاء أتتهم البلية من التهاون في البحث وعدم الاستقراء . مثال ذلك أن صاحب فجر الإسلام قال في الجزء الأول من كتابه ص ٥٥ : إن ألفاظ اللغة في العصر الجاهلي كانت في منتهى الدقة والسعة إن كان الشيء الذي وضع له اللفظ من ضروريات الحياة في المعيشة البدوية .

فالإبل خير مأكلهم ومشربهم ومركبهم وعماد حياتهم ، ولذلك لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة تتعلق بها إلا وضعوا لها لفظاً أو ألفاظاً

« وإذا انتقلت من الجمل إلى السفينة رأيت اللغة في غاية القصور فهم لم يوفوها حقها كما وفوا الجمل ، ولم يحصوا كل أجزائها ، ولم يضعوا اسماً لكل نوع من أنواعها . نعم إن هناك ألفاظاً تتعلق بذلك ، ولكنها لا تكاد تذكر إذا قيست بالألفاظ الموضوعة للإبل وشؤونها . بل إنك إذا فحصت الألفاظ المستعملة في السفن ومتعلقاتها وجدت كثيراً منها معرباً غير عربي كالسيابجة والبمامرة ... وكثير منها لا نشك في أنه وُضع بعد العصر الجاهلي » انتهى كلام الأستاذ أحمد أمين

قال الأستاذ الجندي : « وأنت إذا رجعت إلى كتب اللغة تبين لك أن هذا الحكم قائم على استقراء غير تام ، وأن العرب في الجاهلية ما غادروا صغيرة ولا كبيرة تتعلق بالسفينة المعروفة في عهدهم إلا وضعوا لها لفظاً أو ألفاظاً غير ما أدخل بعد ذلك في العصور التالية ، وأنهم نعتوها وشبهوا بها

وإذا تذكرنا أن السفينة في ذلك العهد كانت تتألف من أجزاء بسيطة ، وليس لها أنواع كثيرة التفاوت في الأشكال والمقادير ، ونظرنا ما وضع لها ولأجزائها من أسماء ونعوت، وجدنا أن اللغة ليست في قصور في هذا الأمر .

انظر إلى دقة الوضع في التفريق بين الأنواع والأجزاء عند الجاهليين ، فإنهم قسموا ما يركبه الإنسان فوق الماء إلى أنواع . فإن كان من قرب تنفخ ويشد بعضها إلى بعض فتجعل كهيئة سطح فوق الماء سمى طوْفاً ورمْثاً، وربما كان من خشب أوغيره. وما عدا ذلك فهو سفينة . ويقال للسفن الصغيرة زورق وقارب

وركوة ومعبر . وللكبيرة : فلك وخلية وقرقور وماخرة ومصباب وجارية وجفل وعدولى . وما يتخذ للقتال منها بارجة

ووضعوا لكل جزء اسماً مختصاً به . فالسقائف ألواحها ، والدُّسُر خيوط تشد بها الألواح أو المسامير ، والطائف ما بين كل خشبتين منها ، والشراع رواق السفينة ، والصارى خشبة فى وسطها يمد عليه الشراع ، والقلس حبل الشراع من ليف ، والصابورة ما يوضع فى بطنها من الثقل ، والمعابر خُشب فيها يُشد بها الهوجل ، والمردى خشبة يدفع بها الملاّح ، والمقذاف خشبة فى رأسها لوح عريض تدفع به السفينة ، والمرساة حديدة تلقى فى الماء ، والكفر القير الذى تطلى به

وكذلك اختصوا كل قسم منها باسم : فالرمحة صدرها ، والكوثل مؤخرها ، والسكان ذنبها ، والجمة الموضع الذى يجتمع فيه الماء الراشح

وجعلوا لكل عامل فيها اسماً خاصاً به : فالملاّح سائس السفينة ، والدارى الملاّح الذى يلى الشراع ، والردفان ملاّحان يكونان فى مؤخرها ، والربان رئيس الملاحين

وقد وضعوا لكل حالة تعرض لها اسماً يميزها من غيرها ، فقالوا مخرت السفينة إذا جرت تشق الماء مع صوت ، وسخرت إذا أطاعت وطاب لها الريح ، ودسرت الماء بصدرها إذا عاندته ، وجمحت إذا تركت قصدها فلم يضبطها الملاحون ، وجنحت إذا انتهت إلى ماء قليل فلزقت بالأرض فلم تمض ، وماهت إذا دخل فيها الماء ، وكبت إذا جنحت إلى الأرض فحوّل ما فيها إلى أخرى ، وقمص البحر بها إذا حرّكها الموج . . . ولولا أن الإطالة تدعو إلى السأم لأتينا على كثير مما يتعلق بالسفينة . فلا يجوز بعد ذلك أن يُقال إن اللغة فى غاية القصور ، وإنما القصور فى البحث والتقرى . وإذا كان ما جُمع من كلام الجاهليين فى الجمل أكثر مما جمع فى السفينة فذلك منشؤه أمران : الأول أن صاحب المخصص إنما ذكر فيه ما أحاط به علمه فى السفينة ، وليس هذا كل ما يتعلق بها . الثانى أن السفينة لا تساوى الجمل فى كل شىء فهو أكثر أجزاء وأطواراً وأعراضاً وأمراضاً وأغراضاً . . . والسفينة فى ذلك العهد مؤلفة من أجزاء قليلة بسيطة .. الخ . اهـ »

هذا ما كتبه الأستاذ الجندى . والقارئ يلاحظ معنا أن الأستاذ أصاب الحقيقة، وبدّد الوهم الذى وقع فيه الأستاذ أحمد أمين فما قول أولئك الذين يرمون اللغة بالقصور ؟

صبوح العرب المجد

مكانة اللغة العربية فى العالم

نشرت جريدة « يوركشير بوست » البريطانية مقالة افتتاحية عن المركز الهام الذى تتبوأه اللغة العربية بين لغات العالم جاء فيها :

« للغة العربية جاذبية خاصة تجذب الشعب البريطانى فى الشرق . ولقد كان هنا لك فيما مضى كثير من المستشرقين ولكنا لا نغالى إذا قلنا إن بريطانيا هى التى أطلعت العالم فى الأعوام الأخيرة على أندر ثمار الثقافة العربية »

« كثيراً ما كانت الإمبراطورية البريطانية تعجز عن إدراك أهمية اللغة العربية، ومع ذلك فهى اللغة الرسمية فى مصر والسودان والمتغلغلة فى صميم أفريقيا حتى البحيرات العظمى . وهى اللسان السائد فى جميع أصقاع شبه جزيرة العرب، كما أنها أداة التخاطب فى العراق . وهى اللغة التى يستخدمها مسلمو الهند — إخواننا فى الرعوية وعددهم ثمانون مليون نسمة — كل يوم فى صلواتهم وفى تلاوتهم للقرآن الكريم . وهى تعد لغة مراكش ، والجزائر وتونس

وهى اللغة التى يستطيع بها العلماء فى إيران وأفغانستان أن يدرسوا أحاديث النبى الكريم محمد صلى الله عليه وسلم . ولا تقل الحروف العربية انتشاراً عن الحروف الرومانية ، فهى ليست قاصرة على اللغة العربية وحدها ، وإنما هى أساس اللغات الفارسية والهندستانية ولغات البوشتو والهاوسا والأردية وغيرها من اللغات الشرقية

ولا مراء فى أن اللغة العربية من أعظم ينابيع المعرفة التى يغترف منها العالم

وبينما كانت أوربا تعيش فى ظلمات الجهالة كان علماء العرب فى بغداد وقرطبة خير أمناء على مدنية اليونان والرومان وأورثوها للعالم فيما بعد

ومما يبرهن على أهمية هذه اللغة العظيمة ، أنها كانت أولى اللغات التى استعملتها هيئة الإذاعة البريطانية . ويزداد عدد المتكلمين باللغة العربية يوماً عن يوم ، وتتسع حدودها . فهى لغة التخاطب فى زنجبار وتنجانيقا وفى بلاد بعيدة كجزر الملايو ، وتتبوأ اللغة العربية مكان الشرف فى مدرسة اللغات الشرقية بلندن

ولقد أدركت الحكومة البريطانية أهمية اللغة العربية، فلا تسمح

الكتب

بطل الاستقلال الاقتصادى طلعت حرب

تأليف الأديب مصطفى كامل الفلكى

هـذا كتاب وضعه مؤلفه لبيان ما لزعيم مصر الاقتصادى طلعت حرب من أثر فى نهضة مصر الحديثة ؛ فبدأ بالإشارة إلى أحوال مصر الاقتصادية والسياسية فى أواخر القرن الماضى، مبيناً ما كانت تتطلبه مصر من أوجه الإصلاح وعلى الأخص فى الجانب الاقتصادى ، مشيراً إلى حاجة البلاد يومئذ وتطلعها إلى « المصلح المنتظر » حتى أذن الله فمن عليها بطلعت حرب

ثم تتبع المؤلف جهاد الرجل العظيم منذ استهلال القرن الحالى، حتى ظفر بتحقيق أمنيته ، فظهرت المعجزة فى هيكل بنك مصر وشركاته ؛ وأورد المؤلف كلمة عن كل شركة من هذه الشركات المباركة الميمونة . وهذا لا ريب من خير البراهين على ما أسدى هذا الرجل العظيم من خير لبلاده ، فإنما يعرض المؤلف صحيفة أعماله الجليلة .

ولما كان المؤلف كما يذكر : « قد أتيحت له فرص حسان ألم فيها بكثير من دخائل ذلك النضال السلمى الرائع » ، فإن بحثه لا ريب بحث الخبير العليم . والكتاب مطبوع طبعاً جيداً ومحلى بكثير من الصور للزعيم العظيم فى كثير من مواقفه المشهورة ، وهو خليق بأن يطلع عليه بنو هذا الجيل ليكون لناشئتهم نبراساً ولرجالهم قدوة .

رحلة الباخرة المصرية مباحث فى المحيط الهندى

تأليف الدكتور حسين فوزى

يذكر قراء العربية ذلك الكتاب القيم الذى نشره فى مصر منذ عامين الدكتور حسين فوزى مدير معهد الأحياء المائية بعنوان

لأى موظف من موظفيها بالاشتغال فى الشرق الأدنى والأوسط ما لم تكن له مؤهلات فى اللغة العربية

نقد وتصويب

وافانا العدد (٣٤٩) من مجلة « الرسالة » الغراء بقصيدة خلابة للأستاذ على الجندى يرثى فيهـا صديقه الحميم المرحوم الحاج محمد الهراوى ، والقصيدة من مطلعها حتى الختام تتجلى فيها براعة الشعر ، ودقة التصوير ، ورقة الأسلوب ورصانته ؛ ومع تقديرى لعبقرية الشاعر فإنى لا أرى مانعاً من لفت نظره إلى بيت من الأبيات لاحظت فيه خروجاً عن الوزن وهو :

تسعد الذكريات أهلها وألقى ذكرياتى محطم الأعصاب

وأرى أن لو كان كما يلى لكان أحكم :

يسعد الذكر أهله وألقى ذكرياتى محطم الأعصاب

أبو الفضل السباعى ناصف

الى الدكتور مبارك

قرأت محاضرتك الظريفة ووقفت عند فقرة بشطرها الثانى المنشور بالعدد ٣٥٠ من الرسالة الغراء هاك نصها : « الشواطئ كلها مآتم ولولا الخوف من بنى الحاسدين والحاقدين لقلت إن المآتم لا تخلو من بريق يزلزل القلوب والأذواق والعقول . ومن هذه الزلزلة تكون الرجفة التى تثير شياطين الشعر والخيال » ا . هـ

ثم رحت أستعيد المعانى الباقية فى ذهنى لمعنى الزلزلة مما تفضل بشرحه الأستاذين شاكر وبشر فارس ، فخلصت إلى أن البريق لا يزلزل القلوب والعقول قياساً على أن الطرب لا يزلزل الآذان . وأظن سيدى الدكتور لا يزال يذكر هذا النقاش حول كلمة الزلزلة فهل للأستاذ أن يتفضل بشرح هذه الكلمة التى شككنا فيها الأستاذ شاكر، وله الفضل والشكر

محمود الأشرم

« سندباد عصرى » وضمنه أثر رحلته فى بعثة السير جون مورى على ظهر الباخرة المصرية مباحث فى المحيط الهندى سنة ١٩٣٣ .

ذلك كان كتاب الأديب والفنان والشاعر ؛ أما الكتاب الذى نتحدث عنه اليوم فهو كتاب العالم والباحث والرحالة ، يصف فيه الدكتور حسين فوزى الرحلة منذ بدأت حتى انتهت ، فلا يترك صغيرة ولا كبيرة مما تهم معرفته والاطلاع عليه إلا عرض لها بأسلوب شائق ، ووصف كاشف . والكتاب يقع فى أكثر من ١٢٠ صفحة من الحجم الكبير، وهو مطبوع طبعاً أنيقاً على ورق فاخر ، ومحلًّى بكثير من الصور الجميلة

وقد صدره صاحب المعالى الأستاذ سابا حبشى وزير التجارة والصناعة بمقدمة تدل على قيمة هذه الرحلة التى يتحدث عنها الدكتور فوزى ، كما يتحدث عن قيمة هذا الكتاب .

وهذا الكتاب على أن المقصود به أن يكون وصفاً علمياً — لم يستطع مؤلفه أن يتجرد من روحه الأدبية وإحساسه الفنى فى وصف بعض ما يعرض له ، فجاء كتاباً جديداً فى فنه وفى أسلوبه .

وقد ختم الكتاب بفهرس كامل للموضوعات والصور .

أخطاؤنا فى الصحف والدواوين

تأليف الأستاذ صلاح الدين سعد الزعبلاوى

هو كتاب جديد فى اللغة ، جعله مؤلفه فى بابين : باب للموضوعات ، وباب للمفردات ؛ وعرض فيه لكثير من الأوهام اللغوية التى تشيع على أقلام الكتاب فى الدواوين والصحف ؛ ثم فرّع هذين البابين إلى فصول ، فباب الموضوعات أحد عشر فصلاً جمع كل فصل منها ما تداخلت أو تجاذبت مباحثه ؛ وأما الباب الثانى وهو باب المفردات فقد توزعته الفصول على تتابع أحرف الهجاء . وقد حذا المؤلف فى ترتيب المواد طريقة الجمهور فى اعتبار أوائل الكلمات ، ثم جعل فى خاتمة الكتاب فهرساً للموضوعات والمفردات التى تناولها بحثه حتى لا يتعب القارئ فى التماس موضوعه

وقد تناول المؤلف فى كتابه طائفة من المباحث اللغوية التى يهم كل قارئ وكاتب عربى أن يلم بها ، وعالجها علاجاً يدل على اطلاعه وصحة نظره

والكتاب يقع فى ٣٢٠ صفحة من الحجم المتوسط ، وهو مطبوع طبعاً جيداً على ورق مصقول فى المطبعة الهاشمية بدمشق

علم الصحة

تأليف الدكتور عبد الواحد الوكيل بك

هذه هى الطبعة الثانية من كتاب « علم الصحة » للدكتور عبد الواحد الوكيل بك ، وقد صدرت الطبعة الأولى منه منذ سنوات فاستنفدها إقبال القراء ؛ فزاد فيه ما زاد من الفصول ثم أصدره فى هذه الطبعة الجديدة

وكتاب علم الصحة من الكتب التى لا يصح أن تخلو منها مكتبة قارئ يلتمس أسباب الوقاية مما قد يعرض له أو لأهله وولده من المرض ؛ وفيه عون كبير للمعلمين والمعلمات فى المدارس على النهج الذى يدرسون لتلاميذهم من علم الصحة الوقائى ؛ وفيه للوالدات والمولدات والمرضين ومعاونى الصحة وطلاب الخدمة الاجتماعية نفع لا يجزئ بما فيه كتاب غيره .

ويقع الكتاب فى نحو ستمائة صفحة من الحجم المتوسط ، ويباع فى مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة .

٤ ـ وحى الرســـالة

[من واجب « الرسالة » أن تنشر ما يتفضل به عليها الأدباء الزملاء والأصدقاء من صادق النقـد وجميل الرأى فى كتاب « وحى الرسالة » تسجيلا للفضل منهم والشكر منا]

قالت جريدة (الأهرام) الغراء :

للأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات ، أسلوب فنى امتاز بالأناقة والطلاوة وحسن البيان

وقد عرف قراء العربية هذا الأسلوب العذب فيما أخرجه المؤلف من كتب بعضها مترجم وبعضها الآخر من تأليفه ؛ ثم عرفوه فى مجلة الرسالة ، حيث ظل الأستاذ الزيات سبع سنوات يطالع قراءه كل أسبوع بمقال افتتاحى يمس فيه مختلف الموضوعات . فكان له من قرائه الكثيرين ما للمطرب النابغ من معجبين . أليس هؤلاء المعجبون يحاكون مطربهم ، ويرددون أناشيده وأغانيه ؟ نعم ، وفى هذا إذاعة لسر نبوغه

وإن للأستاذ الزيات لمعجبين من هذا الطراز الرفيع يذيعون سر نبوغه بمحاكاة أسلوبه القوى الرصين ، وهذا فى الواقع ليس كسباً للزيات بقدر ما هو كسب للبيان العربى الصحيح

ولقد أخرج الأستاذ الزيات منذ أسابيع « الجزء الأول من « وحى الرسالة » وهو مختارات مما نشره فى مجلته « الرسالة » ، ولعل هذا التعريف الموجز يكفى للدلالة على ما لهذا الكتاب من قيمة أدبية عظيمة . وسنقف عند ذلك ، إذ أنه فى رأينا معنى من معانى الإطراء يحسن الوقوف عنده .

وكتاب « وحى الرسالة » يقع فى ٤٨٠ صفحة من القطع الكبير ، طبعت طبعاً أنيقاً على ورق صقيل ، وهو يباع فى جميع المكتبات العامة ، وثمن النسخة الواحدة منه خمسة وعشرون قرشاً . « ش »

* * *

وقالت مجلة (الشعلة) الغراء فى عددها الأخير :

نغمط الأستاذ أحمد حسن الزيات حقه ونقلل من قدره إذا كنا نحاول أن نقدمه هنا إلى القراء . فالأستاذ الزيات أعظم من أن يحتاج اليوم إلى تقديم ، لا هنا فى مصر وحدها بل وفى أنحاء الشرق كله .

ولقد أخرج الأستاذ الزيات منذ أسابيع كتابه الجديد « وحى الرسالة » فكان هذا سبباً فى حيرة وحرج تملكانا ماذا نقول فى هذا الكتاب ؟

أنتكلم عن أسلوب الزيات الأخاذ الجذاب ؟ أنتكلم عن أناقته وذوقه الممتاز فى انتقاء ألفاظه ؟ أنتكلم عن « الفكرة الرائعة » يقدمها الزيات إلى قرائه فى عبارة قوية ومنطق متين ؟

ولكن هذا كله معروف ، وإعادته وترديده هو من قبيل تحصيل الحاصل . أنسكت إذن ولا نكتب شيئاً عن الكتاب ؟ ولكن هناك تقليداً ، تواضعت عليه الصحف جميعاً ، أن تقول كلمتها عن كل ما يجد فى عالم التأليف !

وأخيراً فكرنا فى تقليد جديد : أن نذكر هنا أن الزيات قد أخرج كتاباً . والقراء من أنفسهم يعرفون !

وهنيئاً للزيات كتابه الجديد .

وهنيئاً للكتاب الجديد مؤلفه .

وهنيئاً لقراء العربية أديبهم ، وهنيئاً لهم كتابهم الجديد .

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى ـــ عابدين }